١٩٠٣ أنتَ الصَّفاةُ وعلى هذهِ الصَّفاةِ سأبني كنيستي وأبوابُ الجحيمِ لن تقوى عليها ١٨٧٨



عريضة الخضوع والحبّ البنوي

لقداسة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر

ايها الاب الاقدس

انَّ العالم الكاثوليكي في هذا العام السعيد يطفح قلبهُ سرورًا ويتسابق الى اعتاب الكرسي الرسوليّ ليقدّم لقداستكم مراسيم الدعاء وفرائض التهانئ بنسبة بلوغ شخصكم الاثيل السنة الخامسة والعشرين منذ جلوسكم على الاريكة البطرسية. فلا نتمالك نحن احقر ابنائكم من ان نبوح اليكم ببيان ما تكنّهُ صدورنا وصدور قرّاء مجلّتنا الكاثوليك الشرقيين على اختلاف طوائفهم من عواطف الحبّ البنوي لاقنومكم الجليل وصادق التعلّق غير المنفصم بالعرش البابوي الذي لم تزالوا منذ ربع

السنة الخامسة العدد ٥ في ١ آذار ١٩٠٢

ذرية من سبط يهوذا (رؤيا ٥)

قرن تشرّفونهُ بفضائلكم السامية واعمالكم الخطيرة التي قلّما اتى بمثلها اسلافكم الاماجد لخير الدين والمدنية في كلّ انحاء المعمورة

وانا نقرُّ ونعترف ان بطرس حيٌّ في شخصكم . انتم راعي الرعاة اليكم سلَّم المسيح قيادة الاغنام الناطقة فكل غنمة ليست في حظيرتكم ضالّة . انتم نور العالم من لا يقتبس من اشعَّتكم يبقى في الظلام . انتم الصفاة كل ما يُبنى خارجاً عن هذا الاساس يتضعضع متداعيًا . اليكم أُلقيت مقاليد ملكوت السماء تربطون فلا يحلُّ غيركم وتحلُّون فيحل السماء ما حللتم . بكم تُفكُّ المشاكل وليس بعد حكمكم حكم في العقائد والآداب وسياسة الكنيسة . فالى عرشكم السامي نوجّه ألحاظنا في هذا اليوم المجيد مستمدين بركتكم الرسولية ليؤهّلنا الله ان نكون واخوتنا الشرقيين بركتكم مستوثقين ولاوامركم ممتثلين

ونضرع اليه تعالى بالدعاء كي يؤيدكم بروحهِ الاقدس ويقرن بالنجح مطالبكم ويحرسكم بعينهِ اليقظى وينسئ في أجلكم الى ان تتحقَّق امانيكم في هداية الضالّين وحسم كل شقاق بين المسيحيين وضمّ الكنائس الشرقية بالألفة والاتحاد فيتمُّ بسعيكم ما وعد بهِ المخلص لذكرهِ السجود فتمانون رعيَّة واحدة وراعيًا واحدًا امين

بيروت في ٢٠ شباط اصحاب ادارة المشرق

١٩٠٢ أنتَ الصَّفاة وعلى هذهِ الصَّفاةِ سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

هوذا قد غلب الاسد من سبط يهوذا (رؤيا)

لاون الثالث عشر والشرق

نبذة بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

هو بابا رومية حبر الاحبار وقائد الشعب المسيحي في كلّ الاصقاع والاقطار فاقتضت منهُ رتبتهُ هذه العليا ان يوجّه نظرهُ الى كلّ خراف قطيعهِ العظيم ويهتمّ بكنائس كلّ البسيطة في المشارق والمغارب. على انَّ خلفاء هامة الرُسل قد خصُّوا بالطافهم الامم الشرقيَّة واجزلوا عليهم القسم الاكبر من هباتهم الروحيَّة. ولو حاولنا اثبات ذلك بالادلّة والشواهد لمَا كفت المجلّدات الضخمة فضلًا عن الصفحات اليسيرة

بيد انَّ لاون الثالث عشر لم يجتزئ بان يتقفّى آثار سلفائهِ العظماء بل سبقهم وترك لهُ بين الشرقيين ذكرًا مخلَّدًا لا تمحوهُ الادهار. وقد استحقَّ لكثرة مآثرهِ من هذا القبيل ان يُدعى باسم جليل قد طالما رنَّ في آذاننا فاثار في قلبنا لواعج الحب لاقنومهِ الكريم وهو اسم « بابا الشرق »

والحقُّ يقال ان هذا الاسم ليس هو من الالقاب الفارغة التي يُمدح بها مشاهير الرجال بل انهُ يطابق الواقع ايَّ مطابقة كما سترى في خلال هذه النبذة الموجزة التي نقسمها الى قسمين زيادةً في الايضاح نبيّن في القسم الاول عناية الحبر الاعظم في حسن العلائق بين الكرسي الرسوليّ والدول الشرقيَّة. وفي الثاني همّتهُ في كنائس الشرق ورفع شأنها

١٨٧٨ انتَ الصفاة وعلى هذه الصفاةِ سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

من سبط يهوذا (رؤيا ٥ : ٥)

١ الكرسي الرسولي والدول الشرقية

يسرُّنا ان نفتتح هذا الفصل بذكر دولتنا العليَّة وحسن الصلات التي لم يتعكَّر صفاؤها في هذا ربع القرن بين متبوعنا الإعظم وسلطاننا الافخم ودولة الفاتيكان. فان الاب الاقدس مذ تبوأ عرش المملكة اظهر للحضرة الشاهانيَّة من الاكرام والتجلَّة ما حمل كلَّ الكاثوليك الراتعين في ظلال الاريكة العثمانية على ان يستوثقوا بركن هذه الدولة ويُخاصوا لممثِّليها الكرام التعبُّد وصدق الانتما.

وكان لهذه مجالي العز والرفعة احسن وقع في قلب جلالة السلطان لما فُطر عليهِ وطَّد الله دعائم دولتهِ بسموِّ المدارك وعلوِّ الهمم فاظهر لنا نحن الكاثوليك من الرفق وحسن المعاملة ما زادنا تعلُّقًا بشخصهِ الكريم

ومن شارات الاجلال والمودَّة التى تعطَّفت بها الذات الشاهانية نحو تاج رأسنا وفخر ملَّتنا حبر الاحبار وراعي الرعاة ابينا الاقدس أنها ما أُوذنت بجلوسهِ على كرسي بطرس هامة الرسل حتى انفذت كمعتمد خارق العادة بدروس قيومجيان من اعيان الارمن الكاثوليك لتهنئة قداستهِ بارتقائهِ الى رتبتهِ الشريفة

وما مرَّ على ذلك سنة ونصف سنة حتى اعربت الحضرة الشاهانيَّة ثانيةً عن سامي ودادها للحبر الروماني وذلك بحسم الخلاف الواقع في الملة الارمنيَّة الكاثوليكيَّة فارسل الحبر الاعظم رقيمًا الى جلالة السلطان عبد الحميد خان يشكرهُ شكرًا حميمًا على فضِّ هذه المسئلة وقطع دابر الشقاق. فاجاب عظمتهُ برسالة ضمَّنها ارقَّ العبارات اشار فيها الى صدق اعتصام كاثوليك الشرق بالسدَّة العثمانيَّة أيَّد الله اركانها

١٨٧٨ أنتَ الصَفاةُ وعلى هذِهِ الصَّفاةِ سأبني كنيستي وابوابُ الجحيمِ لن تقوى عليها ١٩٠٢

... من سبط يهوذا (رؤيا ٥)

وكما حلَّت هذه الأزمة بواسطة العلائق الوديَّة بين الحبر الاعظم وجلالة السلطان كذلك ما لبث الشقاق الواقع بين الكلدان الكاثوليك ان ينتهي ايضاً على وجه سامي بخضوع المخالفين لرؤسائهم بمساعدة عمَّال دولتنا العلية

وممَّا ينطق بتبادل شارات الودّ بين الكرسي الرسولي والحضرة العليَّة الهديَّتان الملكيَّتان اللَّتان ارسلهما جلالة مليكنا الغازي الى قداسة البابا لاون الثالث عشر بنسبة عيديه اليوبيليَّين الكهنوتي والاسقفي في سنتي ١٨٨٧ و ١٨٩٢ وكانت الهديَّة الاولى خاتماً ثميناً ليس لهُ ثانٍ وهو عبارة عن حجر كريم بل جوهرة يتيمة كبيرة الجرم بيضيَّة الشكل كانت محفوظة في خزائن السلطنة منذ قديم العهد تنبعث منها اشعَّة تنعكس انوارها على الزوايا فيخال انها مجموع احجار كريمة تشعُّ منها ألوان قوس قزح. وقد اختار عظمتهُ لهذه الفريدة غلافاً ثميناً من الذهب رسم شكلهُ بيدهِ الشريفة فصيغ على هيئة تاج ملكي تسطع من فروجهِ اشعَّة الخاتم المذكور

امَّا هديَّة اليوبيل الاسقفي فكانت في اعيننا نحن الكاثوليك افخر من السابقة ألا وهي الكتابة الجليلة التي نقشها القديس ابرقيوس اسقف هيرابوليس وتلميذ الرسول يوحنا الحبيب في اواسط القرن الثاني للمسيح على صفيحة اعدَّها لتجعل فوق ضريحهِ. وفي هذه الكتابة اشارة واضحة الى رئاسة الاحبار الرومانيين على الكنيسة قاطبةً في الشرق والغرب والى اسرار البيعة لاسيا سرّ القربان الاقدس وفيها دليل على انتشار النصرانيَّة في انحاء العالم الرومانيّ مذ ذاك العهد. وهذه الكتابة اكتشفها العالم البروتستاني رمساي (Ramsay) فاحبَّ سلطاننا المعظم

١٨٧٨ أنتِ الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

من سبط يهوذا (رؤيا ٥ ٥)

ان يتحف بها قداسة ابينا خليفة بطرس الصفا ونائب المسيح على الارض فاكتسب بذلك جازاهُ الله خيراً شكر العالم الكاثوليكي باجمعهِ

ولنا على حسن ألطاف الحضرة الشاهانيَّة غير هذه الدلائل المثبتة باكرامها لامام الاحبار من ذلك ما وجدهُ من الالتفات السامي لدى الباب العالي قصَّادنا الرسوليون لاسيما السادة ڤانوتلّي وغراسلّي وبونتي وبطاركتنا الاجلاء. واساقفتنا العديدون. فكم فاضت عليهم نعم الحضرة الشاهانيَّة اذ تبرَّعت عليهم بالوسامات الشريفة والامتيازات المنيفة والهبات الماليَّة لم تستثنَ من تعطُّفها طائفةٌ واحدة. وقد لقي رهباننا وراهباتنا من ملاطفة السلطان الاعظم وانسهِ ما أسر قلوبهم بمحبَّتهِ على مدى الايام

وان سرَّحنا النظر بعد هذا الى بقيَّة الانحاء الشرقيَّة وجدنا ان قداسة الحبر الاعظم استمال الى شخصهِ الكريم كل ارباب السلطة في الدول الشتَّى حتى الشرق الاقصى

فمن هذه الممالك التي خصَّت لاون الثالث عشر بالتودُّد والاجلال دولة العجم ودولة اليابان ودولة الصين ودولة الحبش فانَّ اصحاب كل هذه الدول كرَّروا الادلَّة على تقديرهم لسموّ مقام ابي المؤمنين وعزمهم على مواصلة العلائق الحبيَّة بينهم وبين البلاط الڤاتيكاني ورحَّبوا بممثلي نائب المسيح ورخَّصوا للمرسلين ببثّ انوار الانجيل بين رعاياهم

وفي المتحف الڤاتيكاني ألطاف وهدايا ثمينة ارسلها هؤلاء الملوك الى رأس الكنيسة. هذا فضلاً عن الوفود والمعتمدين والرسائل التي انفذتها كل دولة من دول الشرق. ومن الالقاب الممتازة التي وردت

١٨٧٨ أنتَ الصَّفاةُ وعلى هذهِ الصَّفاةِ سأبني كنيستي وابوابُ الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

هوذا الاسد الذي من سبط يهوذا (رؤيا ٥ : ٥)

في رسالة ملك الصين انهُ دعا لاون الثالث عشر « امبراطور ديانة السماء ». فكان من نتائج هذه المظاهر البهية ارتفاع شأن الكنيسة الكاثوليكيَّة في كلّ الاقطار دون استثناء. ويلحق بهذا الباب اشياء أخرى كثيرة لا نُفيض في ذكرها بعد ما كتبهُ في هذا الشأن حضرة الاب هنري لامنس في نبذتهِ المعنونة « لاون الثالث عشر والدول »

٣ الكنائس الشرقية

اعلم انَّ خلَف هامة الرسل لم يُبدِ من الهمَّة ما ابدى نحو دول الشرق الّا لخير كنيسة المسيح وتثبيت دعائم الدين ورفع منار الحق بين الشعوب قاصيها ودانيها. وان قصرنا النظر على كنائس الشرق وجدنا لهُ مآثر لا يحصيها العدّ

(الكنيسة اللاتينيَّة) للكنيسة اللاتينيَّة اليوم في الشرق نحو اربعة ملايين من التَبَعة دخل الثلث منهم في الحظيرة البطرسيَّة في عهد ابينا الحبر الاعظم لاون الثالث عشر. والفضل لقداستهِ في انشاء رسالات عديدة ونيابات رسوليَّة واسقفيات في كل نواحي الشرق. فانهُ صانهُ الله نظَّم في سنة ١٨٨٧ كراسي الهند فجعلها اسقفيَّات ورؤساء اسقفيَّات يبلغ اليوم عدد المنصَّبين فيها اربعين راعياً. وكذلك انشأ الحبر الاعظم في الصين عشر نيابات رسوليَّة. ونحو ذلك في الهند الصينية

امَّا اليابان فان البابا في ١٥ حزيران من سنة ١٨٩١ قد اقام لمتنصّريها مطراناً في توكيو وتحت امرهِ ثلاثة اساقفة في هاكوداته وناغازاكي واوساكا فصارت بذلك الكنيسة اليابانيَّة تامَّة الأهبة مستقلة التدبير يُرجى لها تقدُّم كبير

١٩٠٣ أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

الذي من سبط يهوذا (رؤيا ٥ . ٥)

ثمَّ أننا نضرب صفحاً عن ذكر تقدُّم الكنيسة اللاتينيَّة في الممالك الشاهانيَّة في عهد قداستهِ مكتفين بما كتبناهُ سابقًا عن ذلك (الكنائس الشرقية) نعتبر في عداد هذه الكنائس كلَّ الطوائف التي لا تتبع الطقس اللاتيني سواءٌ كانت في الشرق او خارجاً عنهُ

واوَّل ما يتحتم علينا ذكرهُ ان قداسة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر يجلُّ هذه الطوائف الشرقيَّة وطقوسها القديمة . وليس احد من البابوات اسلافهِ تشدَّد مثلهُ في صيانة هذه الطقوس وتعظيمها وقد اعرب عن نيَّتهِ المذكورة في جملة كتابات او خطب علنيَّة فاه بها شفاهاً بازاء الكرادلة او وفود الشرق . غير انهُ كشف عن نيَّتهِ هذه بنوع اصرح في رسالتهِ الرسولية الصادرة في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩٤ حيث استرسل في شرف الكنائس الشرقيَّة فعزَّز طقوسها وميَّزها بامتيازات جديدة استجلبت اليهِ خواطر الشرقيين وجعلتهم اسرى معروفهِ

ومن الدلائل العموميَّة التي شمل بها خلف هامة الرسل الكنائس الشرقيَّة تجديد الاكرام للقديسين الشرقيين ورفع رتبهم في الطقوس الكنسيَّة فجعلهم في درجة اعظم الملافنة الغربيين تقام لهم اعياد متساوية . ومن جملة هؤلاء اولياء الله العظام الذين احيا ذكرهم القديسون يوستينوس المعلم وكيرلُّس الاسكندري وكيرلُّس الاورشليمي و يوحنَّا الدمشقي ثمَّ ميثوديوس وكيرلوس رسولا الصقالبة . وقد وضع الاب الاقدس لكل هؤلاء صلوات وتراجم وليتورجيَّات من تأليفهِ او قصائد من نظمهِ

١٩٠٢ أنتَ الصخرةُ وعلى هذهِ الصخرةِ سأبني كنيستي وابوابُ الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

ومن هذه الدلائل ايضاً مجمعُ البطاركة الشرقيين الذي عقدهُ الحبر الاعظم في رومية سنة ١٨٩٥ وتفاوض فيهِ مع الرؤساء الشرقيين او نوَّابهم في شؤون كنائسهم ورفع منارها وتوسيع نطاقها. وقد اضاف قداستهُ الى عباراتهِ الرائقة الدالَّة على معظم حبّهِ لهذه الطوائف مساعدات ماليَّة تقرّب لاصحابها نوال المرغوب

وكان قداستهُ سبق قبل هذا المجمع بسنتين فاوعز بعقد المجمع القرباني في القدس الشريف يلتئم فيهِ رؤساء الطوائف الشرقيَّة ليتباحثوا في امور طقوسهم ويتضافروا في العمل ويستميلوا الاخوة المنفصلين. فكان لهذا المؤتمر ما كان من حسن الاثر وارتباط القلوب باواخي الوحدة الكاثوليكيَّة

وكان الحبر الاعظم اوَّل من سعى في تحقيق اماني المجتمعين في هذا المؤتمر وقد تقدَّم الى جمعية الرسالات الكاثوليكيَّة بان تعضد الطوائف الشرقيَّة بما امكن من التقادم الماليَّة رجاء ان يزيد نفوذها بين الملل المنفصلة لتسهّل لهم الارتداد الى حجر الكنيسة المقدسة

ولم يكتفِ قداستهُ بذلك حتى وجَّه في اواسط حزيران من سنة ١٨٩٦ الى كلّ الطوائف غير المتحدة مع السدَّة البطرسيَّة تلك الرسالة العجيبة التي لا يقف عليها قارئ ممن لا تُغشي على بصيرتهِ اوهامُ الضلال دون ان يستسلم منقاداً الى براهينها اللامعة وحججها الدامغة. ومدارها على وحدة الكنيسة تلقَّاها العالم باجمعهِ بالثناء العاطر وقد قرّظها كثيرون من غير الكاثوليك ولم يجدوا فيها مغمزاً واقرُّوا انها ناتجة من قلب ابوي متلهّب حبًّا نحو بنيهِ لا يريد سوى خيرهم وسعادتهم الابديَّة. وقد شاء الله ان يعزّي نفس هذا الراعي

١٩٠٢ أنت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

الصالح باهتداء كثيرين من الضالّين الى حظيرة الايمان منهم نساطرة ويعاقبة وغريغوريّون واقباط وروم يبلغ عددهم نيفاً وثمانين الفاً

ومع كلّ هذه شارات اللطف والتعطّف التي ابداها اسير الفاتيكان نحو الكنائس أبى حبّهُ الّا ان يضيف الى هذه النعم العمومية مواهب خاصّة افاضها على كلّ طائفة من هذه الطوائف لم يستثنِ منها واحدة

فمن نعمهِ الى (الارمن) الكاثوليك انهُ بعد لأمهِ الصدع الواقع بينهم رقّى بطريركهم الطيّب الذكر الى منصب الكردينالية فكان غبطة السيد حسّون ثاني الكرادلة الشرقيين بعد بساريون العظيم. وزاد البابا على نعمهِ هذه انهُ انشأ للارمن في عاصمة الكثلكة مدرسةً يتثقّف فيها الشبّان قبل ان ينقطعوا في بلادهم الى اعمال الرسالة والتبشير

وكذلك طائفة (الكلدان) فانّ قداستهُ لم يكتفِ برأب الخلاف الذي حدث فيها بسبب مسئلة الملبار. بل تلطّف في هذه السنين الاخيرة فجعل لكلدان الهند اساقفة من طائفتهم يسوسونهم تحت نظارة الكرسي الرسولي فكانت هذه النعمة مدعاةً الى حسم الشقاق في تلك البلاد بعد ان كان عشّش فيها روح الفتنة منذ أمد مديد

ومن آثار انعطاف لاون الثالث عشر نحو (السريان) مجمع الشرفة انعقد بايعازهِ وتصدّر فيهِ باسم الاب الاقدس القاصد الرسولي في سوريّة غبطة بطريرك اورشليم الحالي السيد الجليل لودوفيكوس بياڤي.

الاسد من سبط يهوذا (رؤيا ٥ : ٥)

وكان هذا المجمع غاية في النظام والاتفاق وُضعت فيه قوانين ملؤها حكمة اثبتها امام الاحبار بسلطانه الاسمى

ولا حاجة للاسهاب في ذكر احسانات قداسة البابا نحو (الأمة المارونيّة) اذ يعرف الكل كما قال غبطة بطريركها المفضال في منشوره الاخير « انها كانت ولم تزل موضوعاً لانعطافه الخاصّ وعنايته الممتازة فاولاها من منَنه وآلائه ما لا تفي بشكره ابد الدهر » فكم من مرّة اثنى قداسته على ثبات الموارنة في الايمان وتعلّقهم بالكرسي الرسولي. وكم اجزل من الهبات على رؤسائهم. وكم اتحفهم بالرسائل المتضمنة ارقّ عبارات التودُّد. وبهمّة الكرسي الرسولي نُشر تعريب المجمع اللبناني لسيادة المطران الجليل يوسف نجم رئيس اساقفة عكا. وقد احيا الاب الاقدس في رومة المدرسة المارونيّة التي ادّت في القرون السالفة خدماً عظيمة للدين والآداب بمشاهير رجالها وابتنى لها معاهد فسيحة وعيّن لثمانية من تلامذتها رواتب دارّة ثمّ ضاعف بعد مدّة هذا العدد لتشمل احساناته قسماً اكبر من الطائفة المارونيّة

امّا (الروم الملكيون) فقد اختبروا تعطّفات لاون الثالث عشر مراراً عديدة فترطّب لسانهم بالشكر لقداسته. فانّ حبر الاحبار اعلن في رسالاته كم يجلّ طقوسهم ويعتبر ملافنتهم وقديسيهم العظام. وتحفّى ببطاركتهم واساقفتهم وسعى في تأليف القلوب بينهم وحضّهم على اقامة مجمع ينظّمون فيه شؤون الطائفة. وفي سنة ١٨٨٢ اجاز لنيافة الكردينال لافيجري ورهبانه الافاضل بانشاء مدرسة القدّيسة حنّة في القدس الشريف يرضع فيها المترشحون للكهنوت افاويق العلوم

١٩٠٢ أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

والفضائل الاكليريكية . فكان هذا المشروع من اعظم الوسائل لنجاح الطائفة الملكيَّة . ثمَّ أناف الاب الاقدس على فضلهِ السابق نعمةً جديدة في سنة ١٨٩٧ لمَّا انشأ في رومية مدرسةً (لليونان) عهد بامرها الى الرهبان البندكتيين وجعلها تحت شفاعة القديس اثناسيوس

ولم ينسَ سيّد الاحبار فروع الكنيسة اليونانيَّة (كالصقالبة والروتان والبلغار والرومان) فانَّهُ كرَّر نحوهم شارات حبهِ السامي ففتح لهم المدارس في رومية العظمى ووجَّه اليهم البراءات الرسولية وعظَّم رُسلهم الذين نشروا بينهم الايمان ودافع عن حرّيتهم الدينيَّة . ولمَّا رأى الرهبان الباسيليين في بلاد پولونيا في حاجة الى الاصلاح وكَلَ الى الاباء اليسوعيين تهذيب طلَّابهم وتنظيم شؤُونهم الروحيَّة . وقد ختم ابو المؤمنين جملة افضالهِ ببراءة أمر فيها بانشاء مدرسة علمية في (اثينة) يتثقف فيها احداث اليونان في الآداب والمعارف . فكانت هذه المنَّة الجديدة من بشائر السنة اليوبيليَّة اعرب بها الحبر الاعظم عن رغبتهِ في ترقي العنصر اليونانيّ

امَّا (الكنيسة القبطيَّة) فانَّ الاب الاقدس بعدُها كبنيامينه ويجعل لها حصَّة كبيرة من مجالي عنايتهِ . كيف لا وهو الذي احيا بطريركيَّة الاقباط الكاثوليك سنة ١٨٩٩ واقام عليها رؤساء ذوي غيرة وصلاح حديثين في السنّ كبيرين في الفضل ليس لهم فكر سوى انارة اخوتهم المنفصلين . وقد اثبت اعمال مجمعهم فجعلهُ كدستور يرجعون اليهِ وقاعدة ثابتة يستندون اليها . امَّا اكليروسهم فاكثرهُ عمل يدي لاون الثالث عشر فانَّ قداستهُ انشأ اولًا للاقباط مدرسة العائلة المقدسة في القاهرة خرج منها رجال افاضل انهوا دروسهم الاكليريكيَّة في كليَّتنا

في بيروت . ولمّا كثر عدد المرتدّين الى الكنيسة وصار جمع العملة لا يفي بالحصاد عاد الاب الاقدس فصرف اموالًا طائلة لانشاء مدرسة اكليريكيّة فُتحت قبل سنتين في مدينة طهطا . هـذا الى انعامات أخرى عديدة كهبات ماليّة وايفاد المرسلين وغير ذلك ممّا جعل الاقباط اسرى معروف لاون الثالث عشر وحلفاء جميله الفائض

وممّا يلحق بانعامات البابا الى الكرسي الاسكندري تعطّفاتهُ الى الاحباش . وقد كان الوفد المُرسل من قداسته الى ملكهم منليـك كفاتحة للعلائق الحسنة بين الكنيسة الرومانيّة والكنيسة الحبشيّة . واليوم ترى هناك المرسلين اللعازريين يفلحون بنشاط كرم الرب ويرون قطيعهم ينمو عددًا وفضلًا

هذه عجالة لخصنا فيها بعض اعمال الاب الاقدس تنطق كلهـا بعظم همّته بالشرق وكنائسه . فعساها تسعر في قلوبهم لواعج الحب البنويّ نحو اقنومه الجليل وتوطّد فيهم عواطف الخضوع للكرسي البطرسي الذي هو مصدر كلّ احسان ومنبع كلّ خير

المكاتبة الرسمية

بين الاحبار الرومانيين وملوك مصر

نقلاً عن القلقشندي

نشرها الاب هنري لامنس اليسوعي

ممّا ورد في الجزء الرابع من كتاب الصبح الاعشى في كتابة الانشاء لابي العبّاس القلقشندي الذي وصفناهُ غير مرّة في المشرق (٣:٣١٠ و ٤:١٤) فصلٌ مطوَّل هذا عنوانهُ (ص ١٦٤): « في المكاتبة الى الملوك بالجانب الشمالي من الروم والفرنجة على اختلاف اجناسهم · وجميعُهم معتقدُهم معتقدُ الملكانيّة » وقد جمع المؤلف في هذا الفصل اثنتي عشرة مكاتبة ضمّنها الدساتير التي ينبغي على الكتّاب ان يراعوها في مكاتباتهم الرسميّة الى ملوك الغرب باسم الدولة المصريّة في ذلك العهد · والاولى من هذه المكاتبات يدعوها القلقشندي « مكاتبة الباب » احببنا اثباتها في هذا العدد من المشرق الذي خصصناهُ باليوبيل البابويّ

ولا بدَّ من ان نقدّم على هذه النبذة بعض ملاحظات من شأنها ان تبيّن حقيقة معناها وتنفي عنها الشبهات فنقول:

انَّ تاريخ القرون الماضية ينبئنا بالعلائق الوديّة والمراسلات التي جرت بين الاحبار الرومانيين وملوك مصر · وممّا ذُكر في تاريخ سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٤ م) انَّ الحبر الروماني اوفد الى الملك الناصر محمد

١٨٧٨ أنت الصفاة وعلى هذه الصفاة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

وفدًا خصوصيًا . وفي الطرفة الآتية ما يؤيد هذا الامر كما سترى

امَّا منطوق هـذه المكاتبة كما رواهُ القلقشندي فهو غاية في الاهمية يبيّن جليًا ما نالهُ الاحبار الاعظمون في ذلك العهد من سموّ الرتبة وشرف المقام بين الملوك . وهذا يظهر حتى من تقديم القلقشندي لهذه المكاتبة على بقية مكاتبات الملوك دون استثناء .

وممَّا يخصُّ بهِ القلقشندي بابا رومية انهُ يدعوهُ « خليفة النصارى » فيشير بذلك الى عظم منصبهِ . وفي قول صاحب التثقيف « انهُ بمنزلة القان عند التتار » ما يزيد في تعظيمهِ لان القلقشندي يفيدنا في محلّ آخر من كتابهِ (ج ٤ ص ٥٨) بأن قان التتار كان اول ملوك ذلك العصر وان الكتابة اليهِ تكون بالقطع البغدادي وبحروف الذهب . وقد سبق الى هذه الافادة صاحب كتاب التعريف بالمصطلح الشريف المطبوع في القاهرة (ص ٤٥)

ومن الالقاب التي اوردها القلقشندي المختصة ببابا رومية انهُ « عظيم الملَّة المسيحيَّة ومملّك ملوك النصرانيَّة وملاذ البطاركة » وكلّ هذه الاوصاف لا تدع شبهةً في انَّ ملوك مصر في ذلك العهد كانوا يعرفون للاحبار الرومانيين قدرهم ولم يساووا بينهم وبين بقيَّة البطاركة الشرقيين

ومن اعجب الألقاب التي خصَّ بها القلقشندي بابا رومية انهُ دعاهُ « بطريرك الملكيَّة » وفي هذا الاسم ما يدلُّنا على حادث تاريخي مهمّ وهو انَّ الشقاق بين الكنيسة البطرسيَّة وكنيستي انطاكية والاسكندريَّة الملكيَّتين الداخلتين في حكم ملوك مصر لم يتمّ في ذلك العهد . ولنا على ذلك دليل آخر اوضح بيانًا في كتاب التعريف

١٨٧٨ أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

(ص ١٤١ و ١٤٤ و ١٤٥) الذي يستشهد بهِ القلقشندي في كلّ صفحة من كتابهِ صُبح الاعشى. قال صاحبهُ القاضي شهاب الدين ابن فضل الله العمري الدمشقي في «وصيَّة بطريرك النصارى الملكانيين(١» التي يوصي بها السلطان البطركَ الملكيَّ عند ما يمنحهُ التقليد الرسمي برتبتهِ: «واعلم بانك في المدخل الى شريعتك طريقٌ الى الباب» يريد انهُ خاضعٌ لاوامر بابا رومية وانَّهُ بمنزلة الطريق التي تؤدي الى غاية اسمى وارفع. وكذلك جاء في مقدّمة الوصيَّة التي يوصي بها السلطان بطريركَ اليعاقبة ما نصُّهُ: «اذ كان لا يدين بطاعة الباب الذي هو رأس الملكانيين» فدلَّ بهذا القول على انَّ بطركي انطاكية ومصر خاضعان للباب بخلاف بطرك اليعاقبة

مكاتبة الباب (٢

«وهو بطريرك الملكيَّة القائم عندهم مقام الخليفة (٣. والعجب من جعلهِ في التثقيف (٤ بمنزلة القان عند التتار. والقان انَّما هو بمنزلة ملكهم الاكبر والباب ليس من هذا القبيل (٥ بل اليهِ امر الديانة

١) هكذا ورد اسم الملكيين في هذه المكاتبات الرسمية وربَّما ورد على صورة الملكانيّ بالهمزة بدلًا من النون (راجع المشرق ٥: ٣٠)

٢) الباب عند كتبة العرب كالبابا عندنا وهو ابو الاباء (راجع تقويم البلدان لابي الفداء ٢٠٩، ٢١١ الخ). وهم يدعونهُ ايضًا البابة والبابا والپاپا

٣) وهكذا دعا الشريف الادريسي بابا رومية (راجع ترجمتهُ الفرنسية لجوبرت (٢: ٢٥٢) وتقويم البلدان لابي الفداء ٢٠١ , ٢١٠

٤) التثقيف كتاب وضعهُ تقي الدين ابن ناظر الجيش ليستدرك بعض اغلاط وقعت في كتاب التعريف بالمصطلح الشريف ٥) قولهُ «الباب ليس من هذا القبيل» يريد انَّ البابا ليس هو كالقان ملكًا زمنيًّا فقط كما ظنَّ صاحب التثقيف وانما تقديمهُ على بقيَّة الملوك لاجل مقامهِ الديني

١٨٧٨ أمِّ القضاةِ وعلى هَذِهِ القضاةِ سأبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٣

حتى في التحليل والتحريم وقد تقدم في الكلام على المسالك والممالك عند ذكر البطارقة انهم يسمّون القسّيس ونحوهُ ابًا ويسمّون البطريرك ابًا فاحتُبوا ان يأتوا على البطريرك (تمييزًا لهُ) ومعناهُ ابو الآباء. ثمّ لمّا غلب الروم على المملكة وعلت كلمتهم على اليعاقبة خصّوا اسم الباب بطريركهم فصار ذلك علمًا عليهِ. ومقرّهُ مدينة رومية على ما تقدّم هناك. ورسم المكاتبة اليهِ على ما ذكرهُ في التثقيف:

« ضاعف الله تعالى بهجة الحضرة السامية الباب الجليل القديس الروحاني الخاشع العامل بابا رومية عظيم الملّة المسيحية. قدوة الطائفة العيسوية. مملّك ملوك النصرانية. حامي البحور والخلجان. ملاذ البطاركة والاساقفة والقسوس والرهبان. تالي الانجيل. معرّف طائفتهُ التحريم والتحليل. صديق الملوك والسلاطين والدعاء صدرت هذه المكاتبة...

« قال في التثقيف: هذا ما وجدتهُ مسطورًا ولم يُكتَب اليهِ شيء في مدّة مباشرتي ولا ادري في اي شيء كان يُكتَب اليهِ ولا عرفت تعريفهُ ولم يتعرّض لهُ المقرّ الشهابي بن فضل الله(١ في التعريف جملة. ورأيت في بعض الدساتير انهُ لم يُكتَب اليهِ الّا مرّة واحدة (٢ وان الكتابة اليهِ في قطع النصف مع المكاتبة المتقدّمة »

---

١) يريد شهاب الدين ابن الفضل مؤلف كتاب التعريف. والمقرّ من المراتب الشائعة في ذلك العصر

٢) لعلّهُ يشير الى الوفد الروماني في سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧ م)

١٩٠٣ ١٨٧٨

لاون الثالث عشر والدول

للاب هنري لامنس اليسوعي

ليس من احد ينكر على لاون الثالث عشر فخامة منزلتهِ في البشريَّة ففي المعمور ملايين من المسيحيين يرفضون الاعتراف بسلطتهِ الروحيَّة ولكنهُ ليس من احد بينهم الَّا يقرّ بما لشيخ الڤاتيكان من الاوصاف والمناقب الجديرة برجال الحكومات كبعد النظر واصابة الرأي وتوقُّد البصيرة والكلف الغريزي باقامة القسط والمحبَّة العظيمة لامثالهِ من البشر. وفي الاعوام الخمسة والعشرين التي قضاها في الحبريَّة دليل ساطع وبيّنة نيّرة على ما نقول

ولا يخفى انَّ البابا هو رئيس روحي على اكثر من مئتين واربعين مليونًا من المؤمنين مختلفي الاحوال بين ملوك وسوقة منتشرين في اربعة اقطار العالم فلا يستطيع صرف النظر عن المصالح الدنيويَّة التي ترتبط بها مصالح الديانة ارتباطًا قويًّا

وبما انهُ هو ايضًا ملك يرسل السفراء الذين أُعطي لهم التقدُّم من زمان لا يُعرف بدؤهُ على سائر معتمدي الدول نراهُ يخاطب ملوك هذه الدول مخاطبة المثل لمثلهِ لكن لا لرغبة او طمع في السيادة والسلطة بل لتعزيز شؤون الدين الذي فُوِّضت اليهِ صيانتهُ

وبناء عليه فاذا تفقَّدنا تاريخ الباباوات الذين لمعت شهرتهم على كرسي بطرس ليس فقط من حيث الفضائل الحبريَّة بل ايضًا من حيث كونهم رجال دولة نرى ان لاون الثالث عشر يتبوأ بينهم محل الشرف

*

١٨٧٨ أنت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

هوذا قد غلب الاسد من سبط يهوذا (رؤيا ٥:٥)

انَّ اول بلاد استلفتت انظارهُ من بعد ارتقائهِ الى عرش البابويَّة هي امبراطوريَّة المانية التي كانت قد بلغت اوج الفخار بما اصابت من التوفيقات العسكريَّة المتوالية. وكان يتولّى شؤونها في تلك الاثناء رجل داهية اعني البرنس بسمرك الذي ما برح اسمهُ حتى الآن ممثّلًا لسياسة الإقدام والدراية. وكان هذا الرجل المستبدّ قد ناصب الكنيسة الكاثوليكيَّة واصلاها حربًا شديدة. ولكن ما كاد لاون الثالث عشر يُسمع صوتهُ حتى اخذت الاوهام تتبدَّد والظنون تتمزَّق. وبالنظر لِما اعرب عنهُ من الحزم والمسالمة معًا بيَّن هـذا الحبر الجديد للرجال المتولين شؤون المانية انهم ضلّوا الطريق وعمـل في الوقت نفسهِ على تنشيط الالمانيين الكاثوليـك وتشديد عزائمهم فانضموا عصبةً قويَّة صارت بعد مضي سنوات قليـلة صاحبة الكلمة الراجحة في مجلس الرشستاغ الذي يُنتخب رئيسهُ دائمًا من بين اعضائها. وهكذا اخذت الامور تترقّى من حسَن الى احسن حتى بطلت تلك القوانين الاستثنائيَّة المسنونة على الكاثوليك واحدًا بعد آخر

ثمَّ لمع نفوذ البـابويَّة خاصَّةً في حسم الخلاف الذي وقع بين اسبانية والمانية على جزائر كارولين لان الفريقـين اتفقا وتشدَّدا على تحكيم لاون الثالث عشر في القضيَّة

وفي المناسبة المذكورة بعث البرنس بسمرك الى الجالس على كرسي بطرس بذاك الرقيم المشهور الطافح بادلَّة الاعتبـار والاجلال لحكمة شيخ الفاتيكان. وعلى اثرهِ احدثت المانية سفارة لها لدى الكرسي الرسولي وما زالت علائق البـابويَّة من الوقت المذكور الى الآن تزيد توثُّقًا واستحكامًا بينها وبين امبراطوريَّة المانية

١٨٧٨ أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

اما سياسة لاون الثالث عشر مع فرنسة جارة المانية الغربية فلم تقلّ حكمةً وسداداً عن سياستهِ مع المانية فقد اعلن ان الكنيسة الكاثوليكيّة مترفعة عن خصومات الاحزاب وغير مرتبطة بهيئة خصوصيّة من هيئات الحكومات وحرّض الكل ولاسيا الكاثوليك على ان ينضمّوا باخلاص الى حكومة بلادهم

وسعى ايضاً في بلجكة سعياً مشكوراً كانت عاقبتهُ افضل واحمد فبعد ان كانت العلائق السياسيّة قد تقطّعت بين الحكومة المشار اليها والكرسي الرسولي عادت سريعاً الى سابق مجراها ومن عهد سبع عشرة سنة الى الآن صارت حكومة البلاد الى وزارة كاثوليكيّة تدبر شؤونها وتتولّى امورها وليس من ينكر ان للاون الثالث عشر يداً قويّة في تحقيق هذه الامنيّة . وقد سبق المشرق (٤:٤٤٨) فبيّن ما وصلت اليه هذه المملكة الصغيرة الكاثوليكية من التقدم المادي العجيب في صنائعها واتساع نطاق تجارتها وغير ذلك من اسباب النجاح الذي فاقت بهِ جميع الاقطار وهو برهان محسوس على انّ الكثلكة والتقدم يسيران معاً ويتمشيان في طريق واحد بشرط ان لا تتصدّى الاهواء البشريّة لماكستهما

ولم يكن نفوذ البابا لاون الثالث عشر في النمسة اقل من نفوذهِ في غيرها ففي شهر كانون الثاني من عام ١٨٨٩ بعد ان فُجع الامبراطور فرنسوا جوزف بوفاة الارشيدوق رودلف وليّ عهدهِ في ظروف محزنة للغاية التجأ الى رومية طالباً من الحبر الروماني عزاء وسلواناً . وقد زارهُ ملكُ ومكلة ايطالية غير انهُ لم يردّ لها الزيارة مع كل ما بذل الساعون من السعي والاجتهاد في حملهِ اليها . وغاية ما اراد من ذلك

ان لا يتسبب باساءة ابي المؤمنين العام وتنغيصه

هلمَّ الآن نذكر باختصار علائق الدول غير الكاثوليكيَّة في اوربَّة مع الكرسي الرسولي ولنبتدئ اولًا بالروسيَّة فنجد انها قد بادرت الى تعيين مندوب لدى الفاتيكان. واما انكلترة فانها ما زالت تتلقَّى باعظم مظاهر التكريم الكرادلة الوافدين اليها من رومية باسم لاون الثالث عشر وتعاملهم في القصر الملكي معاملة الامراء اذ تقدّمهم على رئيس اساقفة كنتربري كبير احبار الكنيسة الانكليكانية. ثمَّ ان القوانين التي تقيِّد حرِّيَّة الكاثوليك قد أُبطلت تدريجًا من انكلترة كما أُبطلت من غيرها من البلدان البروتستانيَّة في اوربَّة مثل اسوج والدانيمرك وقد صرَّحت حكومات البلاد المشار اليها بانها ألغتها اجابةً للافكار السامية التي اعرب عنها لاون الثالث عشر وجريًا على خطَّتهِ السلميَّة

*

واذا انتقلنا من اوربَّة الى آسية نجد مملكتين عظيمتين اعني بهما دولة الصين ودولة اليابان. وكما انَّ الثانية تسير بقدم ثابتة في مراقي التقدُّم والنجاح نرى الاولى مصرَّة على التشبُّث بتقاليدها القديمة غير انها تفتخر وتعتزّ بمقاطعاتها الكبيرة التي تضاهي كل واحدة منها دولة عزيزة الجانب لانها آهلة بما لا يقلّ عن اربعمائة مليون من النفوس. ومع كل هذا لم يتأخر امبراطور هذه المملكة الشاسعة الاطراف عن ابداء امائر الاحترام الوفير للبابا لاون الثالث عشر فبعث اليه برقيم في غاية الولاء. وخوَّل الاساقفة الكاثوليكيين لقب مندارة وهو لقب اشراف الصين. وكذلك في اليابان سقطت تلك الافكار القديمة اي

١٨٧٨ أنت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

... من سبط يهوذا (رؤيا ...)

افكار الاضطهادات وأعيدت سلسلة المراتب الكنسيّة واشتركت الحكومة اكثر من مرّة مع سائر العالم المتمدّن في تأدية فروض التجلّة والتكريم للجالس على عرش البابويّة. وجرى ايضاً على هذه الخطّة جلالة شاه العجم وكثيراً ما كلّف القصّاد الرسوليين في بلادهِ بان ينوبوا عنهُ بتقديم اخلص عواطف الولاء لقداسة الحبر الاعظم. امّا (دولتنا العليّة) فنحيل القرّاء الى مراجعة ما كُتب عن علائقها الطيّبة مع الكرسي الرسوليّ في مقالة «لاون الثالث عشر والشّرق»

ولا نذكر في هذا المقام افريقية الّا للالماع بمساعي لاون الثالث عشر في الغاء النخاسة اي التجارة بالرقيق. فان مساعيهُ المذكورة قد تكلّلت بالنجاح في مؤتمر بروكسل المؤلف من مندوبي جميع الدول الذين اثنوا كلّ الثناء على سموّ افكار رجل الفاتيكان. وامّا اوقيانية فلا سبيل الى ذكر شيء خصوصي عنها لان جميع اجزائها آهلة بالمستعمرات العائدة على حكومات اوربة فلم يبقَ اذاً الّا ان نلقي نظرة عموميّة على امركة لنرى ما هنالك من النفوذ والقول الراجح لنائب «رئيس السلام»

*

ونبتدئ بجمهوريّة امركة الشماليّة فنرى ان الرئيس كلفلند قدّم للاون الثالث عشر في معرض يوبيلهِ الكهنوتي كتاباً من الدستور الامركي نفيس التجليد وجعلهُ هدية الحبر الروماني المحب لكل نجاح ينشأ عن الحرية الحقيقة المبنية على المبادئ القويمة. وقد سلّم هذه الهديّة في حينها الى الكردينال رئيس اساقفة بلتيمور وسألهُ ان يفصح لقداستهِ عمّا يكنّهُ رئيس البلاد من العواطف الشخصيّة للقابض على

١٨٧٨ انت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

أزمة الفاتيكان امَّا لاون الثالث عشر فاغتنم فرصة هذه العواطف الولائيَّة واحدث سفارة للكرسي الرسولي في امركة واسَّس كليَّة كاثوليكيَّة في واشنطون حضر حفلة افتتاحها رجال الحكومة. ثم ان بعضاً من الخطباء البروتستان قاموا في بهرة المجلس مطلقين السنتهم بالثناء على ما ابداهُ الاب الاقدس من الدراية والسياسية. وفي سنة ١٨٩٢ لمَّا احتفلت الولايات المتحدة بتذكار المائة الرابعة لاكتشاف امركة وانشأت لهذه الغاية معرضاً فخيماً في مدينة شيكاغو كتبت حكومتها وتتنذ الى قداسة الحبر الاعظم طالبةً منهُ ان يشترك في المعرض المذكور ويرسل من يمثلهُ فيهِ فقابلت ممثل قداسته مقابلة الامراء المالكين وبادر رؤساء الجيش فاناطوا في صدرهِ النوط الوطني الامركي ولمَّا انتهى الى شيكاغو احلُّوهُ في المنزلة الاولى. هذا فضلاً عن ان الحكومة كانت قد كلَّفت بنوعٍ رسمي نيافة الكردينال رئيس اساقفة بلتيمور ان يبتدئ المعرض بالصلاة

ولو شئنا ان نعدِّد كل ما ادَّتهُ حكومة الولايات من انواع التكريم لخلف القديس بطرس لطال الكلام كثيراً. ولكن لا نجد بدًّا من الاشارة الى كونهِ ذا معنى عظيم لصدورهِ عن حكومة بروتستانية معروفة في علائقها بالتحفظ وملازمة المبادئ الديمقراطية

واما امركة الجنوبيَّة فمع ما يقلقها من الثورات المتكاثرة ما برحت شهادات الاحترام وآيات التجلَّة متوالية من قبلها لسجين الفاتيكان. غير ان السياسة في هذه الممالك المضطربة قد يفوتها الثبات احياناً ومن ثمَّ تنشأ المناقضات التي تحيّر المراقب الغير الخبير بحقيقة الاحوال. وممن نذكرهُ في هذه العجالة الجنرال فلورس رئيس حكومة خط

الاستواء فانهُ ارسل الى الاب الاقدس جزية مالية من قبل حكومتهِ . وكذلك كل من رئيسي كولومبية والشيلي وغيرهما من رؤساء الحكومات في افريقية الجنوبية قد اقاموا مندوبين لهم لدى الكرسي الرسولي وكلما سنحت فرصة يبادرون فيها للاعتراف بما لزعيم الكثلكة من المناقب والصفات الجليلة

وفي الختام نقول ان هذه المآثر الاجمالية التي اشرنا اليها اشارة خفيفة لهي ذات مدلول بليغ لانها توضح لمن يمعن النظر فيها بخلو غرض كم يحقّ للكاثوليك ان يعتزّوا برئيسهم ويشكروا الله على كونهِ حفظهُ طويلًا لزعامة الكنيسة . لا بل تثبت ايضاً ان الكنيسة الكاثوليكيّة تستطيع الوثوق بالمستقبل . نعم ان الاهواء البشريّة لن تزال تضطرب وتهيج غير ان الله من علوّ سمائهِ يسوقها لانجاز مقاصدهِ الازليّة . ومن المعلوم ان الحقيقة لا تلاقي غير المناصبة والعداء ولكن الانتصار النهائيّ مضمون لها . وهذه حبريّة لاون الثالث عشر دليل حي على ما نقول

شهادات لمشاهير العرب

في رئاسة بطرس وخلفائهِ

جمعها الاب لويس شيخو اليسوعي ونظمها على حسب تاريخ وفاة اصحابها

١ ابن رُسته (كتب نحو سنة ٢٩٥ هـ ٩٠٨م)

من كتاب الاعلاق النفيسة (طبعة ليدن)

قال يذكر رومية وملكها (ص ١٤٨): «فتسير ... حتى توافي مدينة الرومية وهي مدينة يدبّر امرها ملك يقال لهُ الباب». ولابن رستة اربع صفحات في ذكر عجائب مدينة رومية

٢ الطبري (✝ ٣١٠ — ٩٢٢)

تاريخ الرسل والملوك (طبعة ليدن)

الجزء الاول (ص ٧٣٧)

فبثَّ (المسيح) الحواريّين في الارض دعاةً الى الله... وكان ممّن وجّه من الحواريين والاتباع الذين كانوا في الارض بعدهم فطرس الحواري ومعهُ بولس وكان من الاتباع ولم يكن من الحواريين الى رومية»

٣ المسعودي (✝ ٣٤٦ — ٩٥٧)

(كتاب مروج الذهب طبعة باريس في تسعة اجزاء وطبعة مصر)

قال (ج ١ ص ١٢٨ و ١٢٩) عن اسم القديس بطرس: «وبطرس هذا اسمهُ بالروميَّة واسمهُ بالعربيَّة سمعان وبالسريانيَّة شمعون الصفا... وقُتل بطرس وبولس بمدينة رومية... ثم جُعلا بعد ذلك في خزانة من البلُّور وذلك بعد ظهور النصرانيَّة وخزانتهما في كنيسة هنالك».

١٨٧٨ أنتَ الصَّفاةُ وعلى هذهِ الصَّفاةِ سأبني كنيستي وأبوابُ الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

من سبط يهوذا (رؤيا ٥)

وللمسعودي نظير هذا القول في الجزء الثاني (ص ٢٩٩ و ٣٠٠)

وقال ايضاً (٣ : ٣٠٣ و٣٠٤) : « ثم ملك على الروم نيرون واستقام ملكهُ ورغب في عبادة التماثيل والاصنام ويقال انهُ قتل في ملكهِ بطرس وبولس برومية على حسب ما قدَّمنا ونمى دين النصرانيَّة في الروم وكثرت فيهم الدعاة اليه »

وقال المسعودي يذكر الكراسي البطريركيَّة (٣ : ٤٠٦ و٤٠٧) : « والبطارقة عند النصرانية اربعة اوَّلهم صاحب مدينة رومية ثمَّ الثاني وهو صاحب قسطنطينيَّة . . واسمها القديم بوزنطيَّة . ثمَّ الثالث وهو صاحب الاسكندريَّة من ارض مصر . ثمَّ الرابع وهو صاحب انطاكية . ورومية وانطاكية لبطرس فبدأوا برومية لانها لبطرس ثمَّ ختموا بانطاكية لانها لهُ وتعظيماً . وقد احدثوا كرسيًّا خامساً ببيت المقدس ولم يكن هذا متقدِّماً وانَّما هو محدث »

وقال ايضاً : « ونمى دين النصرانية في روميـة وهي كرسي جميع النصرانية واليهِ ترتد امورهم »

كتاب التنبيه والاشراف لهُ

(طبعة ليدن)

قال في شمعون الصفـا (ص ١٢٥ و١٢٦) : « وفي اوَّل سنة من ملكهِ (اي قلوذيوس) . . حُبس شمعون الصفا ثمَّ خلص من الحبس وصار الى مدينة انطاكية والنصارى يدعونها مدينة الله ومدينة الملك وامّ المدن لانها اوَّل بلد ظهر فيهِ دين النصرانيَّة وبها كرسي بطرس ويسمَّى شمعون سمعان وهو خليفة ايشوع الناصري والمرأس على سائر التلاميذ الاثني عشر والسبعين وغيرهم . فشرع بطرس في بنـاء

١٨٧٨ أنت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

الكنيسة المعروفة بالقسيان الى هذا الوقت. وفي السنة الثالثة من ملكهِ دخل شمعون الصفا مدينة رومية وسُقِف بها ودبَّرها سنين ودانت امرأة الملك وكان اسمها فروطانيقي ويقال لها بطريقة النصرانية... ولثلاث سنة خلت من ملك نيرون قُتل بطرس وبولس بمدينة رومية »

وقال عن الكراسي البطريركيَّة (ص ١٤٦): « وكانت البطاركة اصحاب الكراسي اربعة اولها مدينة رومية وهي لبطرس رئيس الحواريين وخليفة ايشوع. الثاني الاسكندريَّة من بلاد مصر وهي لمرقس احد اصحاب الاناجيل الاربعة. والثالث قسطنطينية من بلاد بوزنطيا وكان اوَّل بطريرك لها مطروفانس... والرابع انطاكية وهي لبطرس ايضاً واستخلف بطرسُ على الكرسي بها حين سار الى مدينة رومية واذيوسَ (Evodius) »

وقال يذكر سبب تقدُّم كرسي الاسكندريَّة على غيرهِ لاجل السلطة المعطاة لهُ من بطرس (ص ١٦٠): « وان مرقس صاحب الاسكندريَّة ومن كان بعدهُ من البطاركة على هذا الكرسي هم الحكَّام على سائر اصحاب الكراسيّ في كل ما يختلفون فيهِ والقضاة عليهم اذا تنازعوا ومتى اجتمعوا في محفل جلسوا حُسَّراً وصاحب هذا الكرسي بعمامة اذ كان خليفة بطرس. والسبب في ذلك ان بطرس... انتدب مرقس وكان اصغر القوم سنًّا فناولهُ الانجيل ومحا اسمهُ منهُ واثبت فيهِ اسم مرقس وقال لهُ قد جعلناك الحاكمَ عليهم فيما تنازعوا فيهِ »

٤ الاصطخري († نحو سنة ٣٥٠ – ٩٦١)

كتاب مسالك الممالك (طبعة ليدن)

لهُ قول كقول ابن حوقل الآتي ذكرهُ (ص ٧٠)

٥ ابن حوقل (نحو سنة † ٣٨٠ — ٩٩٠)

كتاب المسالك والممالك (طبعة ليدن)

قال في وصف رومية (ص ١٣٥): «ورومية ركن من اركان ملك النصارى وذلك انها كرسيٌّ للنصارى ولهم ايضاً كرسيٌّ بانطاكية وكرسي بالاسكندريَّة. والكرسي الذي ببيت المقدس محدَث لم يكن في أيام الحواريين واتخذوهُ بعدهم ليعظم بهِ بيت المقدس»

٦ الثعلبي († ٤٢٧ — ١٠٣٥)

كتاب قصص الانبياء المسمى العرائس (طبعة مصر)

قال عن بطرس (ص٣٥٥ و ٣٥٦): «انهُ شمعون الصفا ورأس الحواريين» وذكر (ص ٣٥٣) ان المسيح «وجَّههُ الى رومية»

٧ الشهرستاني († ٥٤٨—١١٥٣)

كتاب الملل والنحل (طبعة لندن)

ذكر الشهرستاني ظهور المسيح لبطرس بعد قيامتهِ قال (ص ١٧٢): ورأى شخصهُ (اي شخص المسيح) شمعون الصفا فكلَّمهُ واوصى اليهِ ثم فارق الدنيا وصعد الى السماء وكان وصيُّهُ شمعون الصفا وكان افضل الحواريين علماً وزهداً وادباً»

٨ الشريف الادريسي († ٥٧٦ — ١١٨١)

كتاب نزهة المشتاق (طبعة رومة ١٨٧٨)

قال الشريف الادريسي في وصف مدينة رومة (ص ٧٤): «وفي مدينة رومة قصر الملك المسمَّى البابة وليس فوق البابة فوق في القدر والملوك دونهُ ويقيمونهُ مقام الباري جلَّ وعزَّ (يريد انهم يعتبرونهُ كنائبهِ تعالى) يحكم بالحقّ ويتحرَّى المظالم ويرفق بالضعفاء

١٩٠٢ أنتَ الشفاعة وعلى هدى الشفاعة سأبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

والمساكين وينفي الضيم عن المهتضَمين وحكمهُ نافذٌ ماضٍ على جميع ملوك الروم ولا يقدر احدٌ منهم يردُّ عليهِ »

٩ ياقوت († ٦٢٦-١٢٢٩)

كتاب معجم البلدان (طبعة ليبسك)

دعا القديس بطرس (١: ٣٨٣): « بُطرس رئيس الحواريين » وقال (٢: ٨٣٠): « انَّ قبر شمعون الصفا اتفقوا على انهُ في رومية الكبرى في كنيستها العظمى في تابوت من فضة ». وقال عن البابا (١: ١٦٩): « والبابا رئيس الفرنج هو عندهم نائب المسيح كما هو امير المؤمنين عند المسلمين ينفذ امرهُ في جميع ما يتعلّق بالدين في جميعهم »

١٠ ابن الاثير († ٦٣٠ - ١٢٣٣)

تاريخ الكامل (طبعة مصر)

ذكر ابن الاثير (ج ١ ص ١٢٨) بعثة المسيح « لشمعون الصفا رأس الحواريين » ونجاتهُ من الحبس وسيرهُ الى انطاكية ثمَّ دخولهُ رومية واستشهادهُ فيها مع بولس

١١ ابو الفداء († ٧٣٢-١٣٣٢)

كتاب تقويم البلدان (طبعة باريس)

قال في وصف رومية (ص ٢١١): « وهي مدينة مشهورة ومقرّ خليفة النصارى المسمَّى بالباب ». وقال (ص ٢٠٩) عن اهل بيزة: « وليس لهم ملك وانَّما مرجعهم الى الباب خليفة النصارى »

١٢ ابن الوردي († ٧٤٩-١٣٤٨)

خريدة العجائب وفريدة الغرائب (طبعة مصر سنة ١٣٠٠)

لهُ وصف طويل في ذكر رومية الكبرى وبنائها الى ان قال

١٩٠٢ انتَ الصَّفاة وعلى هذه الصَّفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

(ص ٥٨): « وبها قصر الملك المسمّى البابا وهو قصر عظيم اجمع المسافرون على انهُ لم يُبنَ مثلهُ على وجه الارض »

١٣ ابن بطوطة (+ ٧٧٧ – ١٣٧٥)

تحفة النظّار في غرائب الامصار (طبعة باريس)

قال يذكر زيارة البابا الى كنيسة القسطنطينية (٢: ٤٣٦) ولعلهُ يريد نائبهُ عند ملوك الروم: « ويأتي اليها البابة مرَّة في السنة واذا كان على مسيرة اربع من البلد يخرج الملك الى لقائهِ ويترجَّل لهُ وعند دخولهِ المدينة يمشي بين يديهِ على قدميهِ ويأتيـهِ صباحاً ومساءً للسلام عليهِ طول مقامهِ في القسطنطينيَّة حتى ينصرف »

١٤ ابن خلدون (+ ٨٠٨ – ١٤٠٥)

مقدّمتهُ (طبعة باريس في ثلاثة اجزاء وتاريخهُ طبعة مصر)

قال في الفصل الذي ضمَّنهُ شرح اسم البابا (٢: ٤١٨): « وافترق الحواريون . . . وكان بطرس كبيرهم فنزل برومة دار ملك القياصرة »

ثمَّ قال (ص ٤٢٠): « وكان صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمهِ يسمُّونهُ البطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم ويبعث نوَّابهُ وخلفاءَهُ الى ما بَعُد عنهُ من امم النصرانيَّـة . . . وكان بطرس الرسول رأس الحواريين وكبير التلاميذ برومة يقيم بها دين النصرانيَّة الى ان قتلهُ نيرون خامس القياصرة »

ثمَّ قال (ص ٤٢١): « وارادوا ان يميِّزوا البطرك عن الاسقف في التعظيم فدعوهُ البابا ومعناهُ ابو الاباء وظهر هذا الاسم اوَّل ظهورهُ بمصر على ما زعم جرجس بن العميد في تاريخهِ ثمَّ نقلوهُ الى صاحب الكرسي الاعظم ضدهم وهو كرسي رومة لانهُ كرسي بطرس الرسول

١٨٧٨ انتَ لصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٣

كما قدَّمناهُ فلم يزل سمةً عليهِ الى الآن . . . وبطرك رومة اليوم المسمّى بالبابا على رأي الملكيَّة ورومة للافرنجة وملكهم قائم بتلك الناحية . . . ومن مذاهب البابا عند الافرنجة انهُ يحضُّهم على الانقياد لملك واحد يرجعون اليهِ في اختلافهم واجتماعهم تحرُّجاً من افتراق الكلمة . . . ويباشرهُ بوضع التاج على رأسهِ للتبرُّك فيسمّى المتوَّج »

وقال عن دخول بطرس الى رومية (٢: ١٤٧): « وعند علماء النصارى انَّ الذي بُعث من الحواريين الى رومة بطرس ومعهُ بولس من الاتباع ولم يكن حواريًّا»

وقال (ص١٤٨): « امَّا بطرس كبير الحواريين وبولس اللذان بعثهما عيسى صلوات الله عليهِ الى رومة فانهما مكثا هنالك يقيمان دين النصرانيَّة . . . وكان صاحب هذا الدين عندهم والمقيم لمراسيهِ يسمّونهُ البطرك وهو رئيس الملَّة وخليفة المسيح فيهم ويبعث نوَّابهُ وخلفاءهُ الى من بَعُد عنهم من امم النصرانيَّة »

ثمَّ قال (ص١٤٩): « واختُرع اسم البابا لبطرك الاسكندريَّة ليتميَّز عن الاسقف . . . ومعناهُ ابو الاباء فاشتهر هذا الاسم ثمَّ انتقل الى بطرك رومة لانهُ صاحب كرسي كبير الحواريين ورسول المسيح واقام على ذلك لهذا العهد يسمّى البابا . ثمَّ جاء بعد قلوديوش قيصر نيرون قيصرُ فقتل بطرس كبير الحواريين وبولس اللذين بعثهما عيسى صلوات الله عليهِ الى رومة »

١٥ المقريزي (+ ٨٤٥ – ١٤٤١)

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار (طبعة بولاق)

قال المقريزي في ذكر تاريخ الاقباط (٢: ٤٨٣) يذكر رئاسة

١٩٠٢ انت الصفاة وعلى هذه الصفاة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

بطرس: « فسار بطرس رأس الحواريين وهو شمعون الصفا الى انطاكية ورومية فاستجاب لهُ بشر كثير وقُتل في خامس ابيب وهو عيد القيصريَّة »

وقال بطريركية انطاكية والكراسي الاربعة (٢: ٤٧٣ و ٤٨٤)

« ولمَّا فرَّ بطرس رأس الحواريين من حبس رومية (حبس هيرودس) وتزل بانطاكية اقام بها اداريوس (اواديوس) بطركاً. وانطاكية احد الكراسي الاربعة التي للنصارى وهي رومية والاسكندريَّة والقدس وانطاكية... ودعا شمعون الصفا برومية خمساً وعشرين سنة... واجتمع الرسل بمدينة رومية ووضعوا القوانين وارسلوها على يد اكليموس تلميذ بطرس... ولمَّا قتل الملك نيرون قيصر بطرسَ رأس الحواريين برومة اقيم من بعدهِ اريوس (لينوس) بطرك رومية... وقام من بعدهِ البطاركة بها واحدًا بعد واحد الى يومنا هذا الذي نحن فيهِ »

ثم قال (٢: ٤٨٤): « وكان بطرك الاسكندريَّة يُقال لهُ البابا... ومعناها ابو الآباء. ثم انتقل هذا الاسم عن كرسي الاسكندريَّة الى كرسي رومية من اجل انهُ كرسي بطرس رأس الحواريين فصار بطرك رومية يقال لهُ البابا واستمرَّ ذلك الى زمننا الذي نحن فيهِ »

فاذا استخلصنا من هذه الشهادات لُبابَها وجدنا انَّ العرب يشهدون للكاثوليك في قولهم عن القديس بطرس وخلفائهِ الاحبار الرومانيين اذ انهم يؤكدون ان بطرس اكبر الحواريين ورأسهم وان المسيح جعلهُ نائبهُ ووصيَّهُ واعطاهُ ملء السلطان على الرسل الاثني عشر وعلى السبعين. وان هذا الرسول الهامة بعد ان انشأ كرسي انطاكية اقام كرسيَّهُ في رومية مدَّة ٢٥ سنة واستشهد فيها على عهد نيرون. وأنَّ كرسي رومية اول كل الكراسي تخضع لهُ بقية البطركيَّات وان صاحب هذا الكرسي يدعى بابا اي ابا الاباء دون غيره وهو يحكم على كلّ النصارى حتَّى على الملوك والبطاركة ولا يردُّ احد حكمهُ. فسبحان الله الذي انطق بالحق كتبة العرب ليشهدوا للكنيسة الكاثوليكية على المخالفين لطاعتها

لاون الثالث عشر والهيئة الاجتماعية

للاب جرجس تريبوله اليسوعي

قال المسيح جلَّ من قائل لتلامذتهِ: « انتم ملح الارض . انتم نور العالم » فخوَّلهم بذلك سلطانًا عظيمًا يتناول كلَّ الملل والشعوب فضلًا عن الكنيسة وابنائها المؤمنين فجعلهم كحرَّاس يسهرون على خير الامم ويحافظون على اركان المجتمع البشري وينفون عنهُ كلَّ اسباب الفساد

على انَّ هذه المهمَّة الكبرى منوطة ببطرس وخلفائهِ اكثر منها باخوتهِ الرسل لانهُ راعي الرعاة ونائب ذاك الذي « أُعطي الأُممَ ميراثًا واقاصي الارض ملكًا » (مزمور ٢ : ٨) فعليهِ تدور دائرة المعاملات وبهِ تتَّصل سلسلة النظام البشري فاذا أُصيبت الهيئة الاجتماعيَّة باذًى بادر الى اصلاحهِ لئلا يتسع الخرق ويُثلَّ عرش المدنيَّة

والحقُّ يقال انَّ لاون الثالث عشر لمَّا استوى على منصَّة الملك وجد العالم على قاب قوسين من هبوطهِ لما ثار فيهِ من الاهواء الباطلة وعصف من ريح الفتن التي نفخ بها شيطان الثورة منذ اواخر القرن الثامن عشر فامتدت في كلِّ الانحاء ولم يزل الشرُّ يتفاقم والفساد يستفحل حتى انحلَّت روابط الأُلفة وانتقض ركن السلطة وبطلت الامانة بين المتعاملين ولعبت في الرؤوس خمرة الحرّية الموهومة فكاد اختلال النظام يفضي بالمجتمع الانساني الى الاضمحلال والفناء

تلك كانت حالة العالم اذ سمع لاون صوتَ الرب يقول لهُ ما قالهُ سابقًا لنبيهِ ارميا (١ : ١٠) : « انظر اني أقمتك اليوم على الامم والممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس » فباشر منذ بدء ضبطهِ

١٨٧٨ أنتَ الصفاةُ وعلى هذهِ الصفاةِ سأبني كنيستي وأبوابُ الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٣

لمنان الملك باقتلاع الاضاليل وهَدْم صرح الاوهام ونَقْض بناء التعاليم الفاسدة واشهر حربًا عوانًا على الآراء الباطلة التي نشرها الكفرة والملحدون وسدَّد سهامهُ الصائبة على اكاذيب الإباحيين والاشتراكيين وندَّد بالمادّيين الزنادقة وكشف القناع عن شنائع الجمعيات السرّيّة التي لا تتستَّر الّا لاجراء مقاصدها وترويج مفاسدها لانَّ « الذي يصنع الخطيئة يخاف من النور » كما قال الربّ

ولمَّا كان النظام البشري يتركّب من افراد وعيال وجماعات ودول وكان لكل هؤلاء واجبات وحقوق لا ينفكّ حبلها دون ان تصاب الهيئة الاجتماعيّة بشرور تؤدي بها الى الاضمحلال صرف نائب المسيح نظرهُ الى كلّ قسم من هذه الاقسام وذكّرهُ بفرائضهِ المحتومة عليهِ ودافع عن حقوقهِ لئلا ينفرط سلك الاجتماع البشري وتفقد الامم قوامَ وجودها الذي يتوقّف على هذه العلائق المتبادلة بين اطوار الألفة الاجتماعيّة

وبدأ قداستهُ بالأفراد لعلمهِ بما في قلوبهم من الحزازات على النظام الألفي الذي اثقل قواهم وكسر في عضدهم يوم حلَّ ما كان بينهم من روابط الاعتصاب وأواخيّ الائتلاف . فانجز لاون الثالث عشر في شخصهِ ما قالهُ الشريف الادريسي عن اسلافهِ (راجع المشرق ٥ : ٢١١) « فحكم بالحق وتحرَّى المظالم ورفق بالضعفاء والمساكين ونفى الضيم عن المهتضمين » وكتب تلك الرسالات العجيبة التي دافع بها عن حقوق الافراد ومنع اصحاب الثروة من ان يسوموهم خسفًا . وقد اصدر رسالتهُ الاولى في هذا المعنى السنة الاولى لحبريّتهِ وبدؤها بهذه الالفاظ « Quod Apostolici » بيَّن فيها بادلة ساطعة ما للأفراد من الحقوق عند اربابهم وما يتحتَّم عليهم من الفروض والواجبات نحوهم

١٨٧٨ أنتَ الصّفاةُ وعلى هذهِ الصّفاةِ سأبني كنيستي وأبوابُ الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

فحرَّض اصحاب الثروة ألَّا يهتضموا حرمة الصغار ويحرموهم اجرةً عادلة على اتعابهم وحظر على العملة انتهاك املاك ساداتهم وفنَّد اراجيف الاشتراكيين وترَّهات الاباحيين

وعاد الاب الاقدس الى هذا الموضوع مرارًا عديدة في رسائلهِ العامَّة لاسيا في رسالتهِ « Rerum novarum » سنة ١٨٩١ التي وجَّهها الى الفعلة وحدَّد فيها ما يحلُّ لهم ويحرَّم عليهم. فكانت هذه الرسالة احسن دستور يمكن الأفراد ان يجروا عليهِ. ولذلك قد اطنبت كلُّ الدوائر السياسيَّة والمجلات الكاثوليكيَّة وغيرها على سموّ مدارك الاب الاقدس واقرَّوا علنًا بانهُ فكَّ المشكل على وجهٍ مرضيٍّ للغاية. امَّا العملة فدعوهُ مذ ذاك الحين « بابا الفعلة » واخذوا يحجُّون الى الفاتيكان زرافات ليعاينوا سجيتهُ ويشكروهُ على انتصارهِ لحقوقهم وقد بلغ عدد الذين قدموا عليهِ لهذه الغاية فوق مئتَي ألفٍ

وممَّا يلحق باهتمامهِ في تهذيب الافراد ما كتبهُ عن الحريَّة في رسالتهِ « Libertas » سنة ١٨٨٨ فاوضح بسداد عجيب ما هي الحريَّة ونفى عنها معانيَها الكاذبة واثبت انَّ الحريَّة في صنيع الشرّ ليست بحريَّة بل هي العبوديَّة نفسها وفقًا لقول الرب (يوحنا ٨: ٣٤): « من يفعل الخطيئة هو عبد للخطيئة » وانَّما الحريَّة هي الاختيار بين ضروب الخير وانواع عمل الصلاح

على ان الحبر الروماني لم يشإ ان تبقى الاجسام نفسها مستعبدة وقد سلك بذلك على طريقة اسلافهِ الذين لم يزالوا يسعون في ابطال النخاسة. وقد اوضح لاون الثالث عشر عن فكرهِ هذا في رسالتهِ « In plurimis » سنة ١٨٨٨ الى اساقفة البرازيل لمَّا أُلغيت تجارة الرقيق

١٨٧٨ أنتَ الصفاةُ وعلى هذه الصفاةِ سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

في تلك البلاد وكان لدُعاة الدين في هذا الامر الخطير يدٌ مشكورة

ثمَّ صرف اسير الفاتيكان نظرهُ الى مجاهل افريقية حيث النخاسة كانت ضربت باطنابها منذ زمن مديد فبيع ألوف وربوات الوف من البشر كما تُباع السلع. ففوَّض الحبر الاعظم الى الكردينال لافيجري الذائع الشهرة بان ينادي بين الشعوب المتمدنة ويدعوها لابطال هذه الفظائع. ولمَّا رأى الدولَ متأثرة ممَّا بلغها من توحش النخاسين كتب تلك البراءة ذات المعاني الشريفة والمدارك السامية التي اصدرها في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩٠ فكانت ضربةً لازبة على بيع الرقيق. ومنذ ذاك الوقت اتَّفقت كلمة الدول على منع هذه التجارة المستقبحة التي تحطّ بشأن البشر وتنزلهم منزلة البهائم وقد خلقهم الله احرارًا متساوين بحقوق الانسانيَّة. وعزَّز لاون في ذلك الوقت الرسالات الافريقيَّة وجعل لها شفيعًا في مصفِّ اولياء الله القديس بطرس كلافر اليسوعي الذي صبغ في القرن السابع عشر بمياه المعمودية اكثر من ٣٠٠,٠٠٠ من الزنوج العبيد

وما صنعهُ قداسة الحبر الاعظم نحو الافراد شفعهُ باعمال اثيرة تلمُّ فيها العيشة العائليَّة. واذ علم قداستهُ انَّ تهذيب الاحداث اكبر داعٍ لحسن نظام العيال المسيحيَّة سعى سعيًا لم يُضجرهُ الملل بتربية الصغار. وقد استلفت انظار ارباب العائلة الى هذا الامر في اوَّل براءة عموميَّة اصدرها بعد جلوسهِ السعيد على كرسي بطرس وكرَّرهُ في براءاتهِ التالية

ومن اركان العيشة العائليَّة سرّ الزواج المسيحي المبنيّ على قول الرب (متى ١٩: ٦): «ما جمعهُ الله فلا يُفرقهُ انسان» وقد استفرغ سيد الاحبار كنانة جهدهِ في تعريف خواص الزواج وما يؤول اليهِ

١٨٧٨ أنتَ الصَّفاة وعلى هذه الصَّفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

هذا السرّ اذا ما اخترق الازواج سُنَن الكنيسة فيذهب كلٌّ من العروسين في سبيلهِ وتتضعضع العائلة وينشأ الصغار على خرق الآداب وسوء السيرة. وهذا الموضوع قد خاض فيهِ لاون الثالث عشر اربع دفعات بيد انهُ قد اتّسع فيهِ في رسالتهُ عن الزواج المقدس (Arcanum) سنة ١٨٨٠ فبيّن ما لهُ من القوَّة في حلّ المعضلات وفكّ عُقدها

ولتعزيز روح العائلة قد نشّر ابو المؤمنين عبادة الورديَّة المقدسة وكتب في ذلك رسالات طافحة بالتقوى والغيرة الرسوليَّة. وكذلك قد اثبت شركة العيلة المقدسة وامر الاساقفة بحضّ المؤمنين عليها ليتخذوا من يوسف ومريم ويسوع مثال الفضائل العائليَّة التي ينبغي عليهم ممارستها

هذا وان الاب الاقدس لم يقتصر عنايتهُ بالهيئة الاجتماعيَّة في ترتيب حقوق الافراد وتحسين العيشة العائليَّة وانَّما صرف همتهُ الكبرى الى الالفة المدنيَّة والجماعات الدوليَّة. واول ما لحظ انَّ الرعايا لم تعُد تقدّم لاصحاب السلطة ما يقتضيهِ مقامهم من الاكرام والخضوع وما ذلك الَّا لانَّ روح العصر قد اضحى روح تساوٍ يظنّ الشعب انهُ هو مصدر السلطة يفوّض بها الى من يشاء. وقد نشأ عن هذا الظن السيّئ شرور لا تُحصى وفتن لا تُعدّ فترى البلاد في تقلبٍ دائم وفي فوضى متوالية. بل اتصلت ببعضهم القحة الى ان تطاولوا على ولاة امرهم فجنوا على حياتهم

فساءت هذه الحال لاونَ الثالث عشر ولم يجد اشدّ زاجر للناس من هذه العقيدة الباطلة من ان يبيّن لهم اصل السلطان ومصدرهُ. فكتب في ١٨ اذار سنة ١٨٨١ بعد موت القيصر اسكندر الثاني براءتهُ الخالدة الذكر التي بدؤها (Diuturnum) اثبت فيها بادلَّة نقليَّة

١٨٧٨ أنت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

وعقليّة بانّ كلّ سلطة من العلى وانّ السلطان ظلّ الله في ارضهِ وان الرعايا ليس لهم منهُ حصةٌ وان امكنهم في بعض الاحيان ان يعيّنوا الشخص الذي يتولى هذه السلطة شرعيًّا. واذا عيّنوهُ فليس لهم سبيل الى نقض سلطتهِ

فما برزت الرسالة البابويّة حتى صفّق لها العالم استحسانًا وتلقّاها الملوك بما لا مزيد عليهِ من التجلّة والاعتبار ولم يكتفِ قيصر روسيّة اسكندر الثالث بقبولها من الحبر الروماني شاكرًا بل وزّع نُسخًا منها بيدهِ على حاشيتهِ

وما مرّ على هذه الرسالة اربع سنوات حتى ألحقها حبر الاحبار برسالة اخرى ليست اقلّ منها شأنًا (Immortale Dei) بحث فيها عن العلائق بين الكنيسة والسلطة الزمنيّة وقد اسهب في بيان حاجة السلطة الزمنيّة الى الكنيسة لانّ الكنيسة حارسة الدين والدين هو سلك النظام الاجتماعي لن يستحكم اساسٌ للتمدن دونهُ البتة وعليهِ فقد كذب من اعتبر الكنيسة كخصم للسلطان الزمني وانما هي بالنسبة اليهِ بمثابة النفس الى الجسد تحييهِ وتصونهُ من الاخطار المحدقة بهِ

ومن الخدم التي ادّاها لاون الثالث عشر للهيئة الاجتماعيّة انه كافح بكلامهِ وقلمهِ تلك الشيع الجهنميّة التي جعلت غايتها المقوتة دكّ دعائم السلطة الشريعة. ولو عدّدنا خطبهُ في رذل هذه الجماعات لطال بنا الكلام. وقد خصّص الاب الاقدس تنديدهُ بالجمعيات السرّيّة والشيع الماسونيّة واثبت بشهادات اصحابها ان تصارى بغيتها نقض كلّ دين وسلطان. واشهر رسالات قداستهِ في هذا الشان صدرت في ٢٠ نيسان سنة ١٨٨٤ فنشرناها في وقتها بالطبع على حدة في مطبعتنا الكاثوليكيّة

ومن مساعيهِ ايضًا في خير الدول جماء انهُ كثيرًا ما جدّ وكدّ في نشر الصلح بين الدول الاوربيّة وترع الاسلحة لتعيش الامم في الألفة

١٨٧٨ أنتَ الصَّفاة وعلى هذه الصَّفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

والسلام. وقد ظهر ذلك بنوع خصوصي في مؤتمر الصلح الذي عُقد في هولاندة سنة ١٨٩٩ فان ملكة هذه الدولة اقرَّت في رقيمها الى سيد الفاتيكان انهُ احقُّ من غيرهِ بتوطيد السلام بين الدول الاوربيَّة

وبعد ان وجَّه قداسة امام الاحبار همَّتهُ الى الممالك اجمالًا نراهُ مهتمًّا بكل دولة كأنهُ لا همَّ لهُ سواها. وكلُّ من يطالع رسائلهُ الى الفرنسويين والبلجكيين والاسبانيين والطليان والالمان والاميركيين لا يشكُّ في انَّ قلبهُ الابوي يعزُّ كل الدول دون استثناء. لا يريد غير خيرها الاعظم وترقيها في سبل النجاح فلا عجب بعد ذلك ان استأسر سجين الفاتيكان بمحبتهِ قلوب الامم جمعاء. فالتجأت اليهِ تتبرى في فضّ مشاكلها وحل معضلاتها

وكنَّا وددنا لو سمح لنا المقام ان نذكر الجمعيات الخيريَّة والمشروعات المبرورة التي انشأها الحبر الاعظم في كل بلد لخير الافراد والعيال ولصالح كلّ طور من اطوار الاجتماع الانساني إذن لرأى ما يدهش الالباب ويحيّر القلوب. فان الحسنات التي يوزّعها الكرسي الرسولي وحدهُ على العملة والفقراء والمرضى والمنكوبين وفي افتداء العبيد تبلغ نحو خمسة ملايين من الفرنكات في كل سنة. وقد انهض قداستهُ همم الكاثوليك لمَّا جعل لهم شفيعًا ذلك البطل الهمام رجل الخير العميم ومثال النزاهة والتفاني القديس منصور دي بول منشئ الجمعيَّة اللعازريَّة وأخوات المحبَّة

وفي الختام لا يسعنا الَّا ان نصرخ فليحيَ لاون فانهُ حقيقةً ملاذ الامم وسند الشعوب فطوبى للدول التي تسمع صوتهُ فانَّ فيهِ صحَّ قول ملكة سبا لسليمان الحكيم (٢ اخ ٩: ٨): « تبارك الربُّ الهك الذي رضي منك واجلسك على عرشهِ ملكًا للرب الهك فانهُ لاجل حبّ الهك لاسرائيل ليثبتهم الى الابد اقامك ملكًا عليهم لتجري الحكم والعدل»

الاسد الراعي

بقلم حضرة الخوري يوحنا طنوس احد اساتذة مدرستنا الكلية

هوذا قد غلب الاسد من سبط يهوذا من اصل داود

النزُ لله انَّ الحقَّ قد ظهرا   فالليث من اصل داودٍ قد انتصرا
لله من اسدٍ في الحرب محتدمٍ   من جمر عينيهِ يرمي النار والشررا
من عينهِ البرق ثمَّ الرعد يتبعهُ   صمق الصواعق في الاقطار ان هدرا
ويلٌ لذئب الفلا من بطش سطوتهِ   ان ألحق الذئب في اشبالهِ ضررا
ويل السباع وويل الوحش قاطبةً   ان أُغضب الاسدُ الضرغام او غُدرا
إن ثار ثائرهُ يرتجُ كلكلهُ   قصد الوثوب ويا لله ان زأرا

*

ما اعجب الكون يوماً لو رأى اسداً   في الناس منتصباً يرعى الملا قدرا
ليثٌ وراعٍ فكيف الجمع بينهما   والفرق بين السجايا حيّر الفِكَرا
النارُ والماء ثمَّ الحلمُ في غضبٍ   بطشٌ بعفوٍ وحزمٌ قارن الحذرا
حلاوة الشهد ثمَّ البأسُ في اسدٍ   عن ليثنا لُنْز شمشونَ الذي ذُكرا
فما اشدَّ على الاعداء وطأتهُ   والشهد من فيهِ للابناء قد قطرا

*

اقامهُ الرب صخراً إسّ بيعتهِ   انت الصفاةُ فكن في الناس مقتدرا
فليس يقوى عليها في الوغى ابداً   بابُ الجحيم لاتي منكمُ العُصُرا
جهنمٌ فتّحت ابوابها حنقاً   لتقذف الكفر والفحشاء والدعرا
وهيّجت جندها للحرب فانتشرت   شرقاً وغرباً وماجت موجَ من فجرا
وقلّبت ارضنا بالشرّ فانقلبت   ظهراً لبطنٍ وقانا ربُنا الخطرا
ثلّت عروشاً ففاضت بالدما مدُنٌ   وخيّم الكفر بالاقطار منتشرا
وحاولت هدَّ ركن الدين عن بطرٍ   اعوذ بالله مما حاولت بطرا
فان تزعزع ركن الدين منقلباً   تهوّر الكون في الفحشاء مندحرا
فساورت رومةَ العظمى لتصليَها   حرباً عواناً يحاكي حرُّها سقرا
ضجّت عليها ضجيجَ القوم في لهبٍ   وافغرت فاهها للسبِّ فانفغرا
تضعضع الكون واندكّت دعائمهُ   وقالت الناس ويل الدين قد قهرا

١٨٧٨ — انتَ الصفاةُ وعلى هذهِ الصفاةِ سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها — ١٩٠٢

بل ويلكم يا عداة الدين فارتدعوا ... ألا اتَّقوا الله انَّ الله قد نصرا
لا يغلب اللهَ انسانٌ ولو ملكًا ... فالربُّ يناب في احكامهِ البشرا

*

هلَّا رأت عينكُمْ لاوون راعِيَها ... ليثًا هصورًا على القطمان قد سهرا
فالرب قال لهُ يرعى رعيَّتهُ ... علَّمْ وهَذِّبْ ووبّخْ كلَّ من عثرا
اني جعلتك نورًا يُستضاء بهِ ... ما دام في الارض ليل الجهل معتكرا
الى الاقاصي رسولي انت يا اسدي ... فارعَ الشعوب وقوّم خدَّ من صعرا
جعلتُ في فيك سيف الحقّ متقدًا ... فاضرب بهِ هام من مارى ومن كفرا
انت المسلَّط فوق الفوق فاحتكمنْ ... فلا مردَّ لحكمٍ منك قد صدرا
لك المفاتيح فافتحِ ان تجد حسنًا ... في وجه من شئتَ حسبُ الله ان امرا
كم يبذل النفسَ عن قطمانهِ جذِلًا ... ولا يُولّي من الاعداء مذعرا
والعين ترعى نجوم الليل ساهرةً ... على الخراف فيا ما اطيب السهرا
قطيعهُ يرِدُ الينبوع مرتشفًا ... ماء الحياة وراحًا تُبعد الكَدَرا
كم هام في حبّهِ للشرق من صغر ... وحبُّهُ ازداد وجدًا كلّما كبرا
يا شرق يا منبع الايمان من قدم ... اسرع لاكرام مَن في حبّك اشتهرا

*

يا بنت صهيون قومي رنّمي طربًا ... فالرب قد جبر العظم الذي كُسرا
يا رومة الحقّ هي اليوم من سنةٍ ... قومي استنيري فان النور قد جرا
أمّ المدائن بل امّ الكنائس بل ... امّ الحقائق فيك الدين قد حُصرا
قد اشرق الرب في عينيكِ فانقشعت ... عنك الغيوم واجلى حبرُكِ البَصَرا
قومي ارفعي الرأس لا تخشَي مصادمةً ... فعزُّك اليومَ ألبابَ الورى سَحَرا
بنوك من مشرق الدنيا ومغربها ... طارت اليك بقلبٍ حبُّهُ استعرا
ومجد لبنان يأتي غيرَ منتظرٍ ... فأرزُهُ مثلَ هذا العزّ ما نظرا
قومي انظري حولكِ الاحبار ساجدةً ... أمام حبركِ تهدي الشكر والدررا
كلُّ القبائل في يوبيلهِ ابتهجت ... والناس تفرح ليلًا اذ ترى القمرا
كلُّ الشعوب على ابوابهِ ازدحمت ... تبغي رضاهُ فيا ما اعظم الظفرا
تمت نبوءة يوحنا برمَّتها ... فالليث من اصل داودٍ قد انتصرا

١٨٧٨ أنت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

سبط يهوذا (رؤيا ٥: ٥)

لاون الثالث عشر والعلوم

نبذة للاب موريس كولنجت اليسوعي

ان كان البابوات لم يألوا جهدهم في توطيد اركان المجتمع الانساني ليس فضلهم بأقلّ في نشرّ المعارف البشريَّة. وقد اقرَّ اعداء الكثلكة انفسهم بهذا الامر حتى شاع قول احد الكتبة البروتستانت: « لولا الاحبار الرومانيون لبقيت اوربَّة متسكّعة في ظلام الجهل مدَّة قرون عديدة »

وللاون الثالث عشر اعمال تنطق بحبّهِ للاداب البشريَّة والمعارف الانسانيَّة تجعلهُ شبيهًا بسميهِ لاون العاشر الذي عُرف بهِ عصرهُ فدُعي عصر لاون العاشر. ولا غرو فان للاوننا شعارًا أَبى ان يدعهُ اسمًا فارغًا فاضحى « نورًا في السماء » ليس فقط بنشر ضياء الايمان ولكن ايضًا برفع منار العلوم وبثّ اشعَّة الآداب

ولو تصفَّحنا حياة هذا الحبر الجليل لرأيناهُ اهلًا بان يُنظم في ائمَّة علماء عصرهِ بل هو جدير بان يتقدَّمهم لما احرزهُ من المعارف الجليلة. وللاباء اليسوعيين معلّميهِ شهادات عديدة تُثبت ما كان مطبوعًا عليهِ منذ حداثة سنّهِ من توقُّد الفهم ونجابة القلب اذ أصاب بين رفقتهِ قصبات السبق في كلّ فروع العلوم. وقداستهُ يعرف عشر لغات ويتقن التكلم والكتابة بخمس منها. ولهُ اليد الطولى في الكتابة كما تشهد على ذلك رسائلهُ العديدة واكثرها من قلمهِ السيَّال اكسبتهُ اسمًا ممتازًا بين ابرع كتَّاب عصرهِ. ومما يدهش اهل النقد والبصر انهُ يكتب اللاتينيَّة ببلاغة وطلاوة عجيبتين قلَّما ادركها المعاصرون.

١٩٠٣ أنتَ الصَّفاةُ وعلى هذهِ الصَّفاةِ ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

ولهُ ديوان شعر في مواضيع دينيـة وعلميَّة وادبية كلُّهُ فرائد لا يزال يضيف اليهِ كلَّ يوم قصائد رنَّانة يخال لقارئها انَّ ناظمها في عزّ الشباب يودعها من المعاني افخمها ومن التخيُّلات والتشابيه ارقّها واسجمها فعدَّهُ اصحاب الذوق من افحل الشعراء وابعدهم مجالاً في فنون القريض

ولمَّا صارت الى يدي قداستهِ ازمَّة البابويَّة لم يشأ ان يمشي ارباب الدين في مؤخَّر جيش العلوم بل اراد ان تكون المعارف معزَّزة زاهية في الكنيسة امّ التمدُّن والنجاح ليتحقَّق النـاس انَّ الدين والعلم كفرسي رهان وكاخوين شقيقين ليس بينهما مناقضة البتَّة

وباشر قداستهُ بنشر لواء العلم في رومية ام المدائن . وكان اوَّل همهِ بالأحداث لاسيا الفقراء منهم فانَّهُ في السنة ١٨٧٩ عُني بتنظيم المدارس الاوَّليَّة وحسَّن فيها التعليم وخصَّص لها في كل سنة مئة الف فرنك تُصرف في صوالحها

ثمَّ وجَّه قداستهُ العناية الى المدارس الثانويَّة فانشأ المدرسة اللاونيَّة وجهَّزها بكل لوازم التعليم وعهد بتدبيرها الى مشاهير اساتذة رومية وهي اليوم حافلة بالطلاب تباري احسن المدارس علماً وتهذيباً

ولمَّا رأى امام الاحبار انَّ مدرسة انتشار الايمان أصابها بعض التقهقر في الدروس تسارع الى تلافي الامر ولم يزل يجدُّ ساعياً في اصلاح الحال حتى تداركهُ تماماً واعاد لهـذه المدرسة الشهيرة رونقها السابق بل انعش فيها نشاطاً لم تعرفهُ من ذي قبل

وكذلك الكليَّة الغريغوريَّة التي يديرها الاباء اليسوعيون في رومية فانَّ قداستهُ احبَّ ان لا ينقصها شيء من اسباب الكمال التي

١٩٠٢ أنتَ الصَّفاة وعلى هذه الصَّفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٨٧٨

اعادتهُ منذ ثلاثمائة سنة فنشّط تلامذتها وشدَّ أزرها بمشاهير المعلمين . فنما عدد طلّابها من ٤٠٠ الى ١٢٠٠ وهم لا يتلقّنون فيها سوى العلوم العالية

ولا نعدّد هنا خوفاً من الاطالة المملّة عدّة مدارس أُخر تقدم لاون الثالث عشر بانشائها كالمدرسة البوهيميّة والمدرسة البرتوغيّة والمدرسة المارونيّة والمدرسة الارمنيّة والمدرسة اليونانيّة فان المسافر الذي يزور مدينة الباباوات لا يخطو اليوم خطوةً دون ان يرى في كل حي من احيائها أثرًا من هذه الآثار المجيدة الناطقة بفضل لاون ابي العلوم والمعارف

وحبرنا الجليل عدَّة محافل ادبيّة انشأها في رومية لرفع منار العلوم اكبرها « المحفل الادبي البابوي » يبحث اصحابهُ عن آداب اليونان والرومان والطليان تمَّ افتتاحهُ سنة ١٨٨٥

ومن منشآت الاب الاقدس في عاصمة الكثلكة « المحفل التُّومَوي » احدثهُ لاعلاء منار الدروس اللاهوتية والفلسفيّة وفقاً لتعاليم القديس توما الاكويني شمس المدارس

وكانت المجامع العلمية المنشأة من اسلاف قداستهِ أُصيبت بضربة لازبة مذ دخول الجنود الايطاليّة في رومية فنفخ فيها سجين الفاتيكان نسمة حياة جديدة . منها جمعيّة لينشاي (Acad. dei Nuovi Lincei) التي دخلت منذ سنة ١٨٨٣ في طور جديد مذ خصّها قداستهُ بمعاهد فسيحة وحمل اعضاءها على العمل . ومدار ابحاثها على الرياضيّات والطبيعيّات والادبيّات لها مجلّة شهيرة تنشر تآليف اعضائها في كل سنة

ومنها « جمعيّة العاديّات البابويّة » كان تشتّت شمل اصحابها فجمع حبرنا الجليل كلمتهم وامرهم بمواصلة اشغالهم ثمَّ نشر على حسابهِ الخاص ما تأخر من تآليف الجمعيَّة وجعل لها ريعاً سنويًا كافيًا لترقّي امورها. وبهمّة قداستهِ عقدت هذه الجمعيَّة في ١٧ نيسان سنة ١٩٠٠ ذاك المؤتمر الشهير الذي اجتمع فيهِ اكبر علماء العاديّات فتباحثوا عن الآثار المسيحيَّة القديمة. وكان لابحاثهم الجليلة صدًى ردّدتهُ كلُّ الجمعيَّات العلمية في اوربَّة

ومنها جمعية ادبيَّة تُعرف بالاركاد (Acad. des Arcades) انهضها البابا من خمولها وخوّلها انعامات شتّى

ولابينا الاقدس مساعٍ أُخرى عديدة في نشر العلوم والآداب في حاضرة مملكتهِ نخصُّ منها بالذكر انشاء المرصد الفاتيكاني اقامهُ على نفقات الكرسي الرسولي بدلًا من مرصد اليسوعيين في المدرسة الرومانية الذي استولت عليهِ دولة ايطاليا قسرًا. فجاء المرصد الجديد آيةً في بابهِ تزينهُ الآلات الفلكية التي لا تُرى الّا في مراصد الدول الكبرى لتعريف حركات السماء وآثار الجوّ وحساب الازمنة. وفيهِ تلك العدسية العظمى التي جهَّزها قداستهُ لرسم خارطة السماء. وهو عمل جليل لم يُسبق اليهِ يشتغل فيهِ علماء الفاتيكان في مقدَّمة مشاهير الفلكيين الاوربيين. وقد سلَّم لاون الثالث عشر ادارة هذا المرصد للاب دِنزا البرنابي. ولقداستهِ مرصدٌ آخر اقامهُ في كَرْپيناتو مسقط رأسهِ

ومن حسن مساعي سيّد الفاتيكان عنايتهُ في المتحف البابوي الذي يقرُّ العلماء انهُ من اقدم واجمل المتاحف في البسيطة كلها. وقد فتح لهُ قداستهُ قاعات جديدة ورمّم ما خرب منهُ وجدَّد نقوش معاهده

(راجع المشرق ٤ : ٢٨٤) ونقل اليه عددًا لا يحصى من النفائس مثل الطنافس البديعة الغالية الثمن المعروفة بالغوبلين عرضها ونظّمها على حسب تاريخها بعد ان كانت مودعة في زوايا النسيان. ومنها آثار الصنائع والفنون قدّمها العالم الكاثوليكي للاب الاقدس في فرصة يوبيله الكهنوتي. ومنها عاديّات اكتشفها علماء الفاتيكان او الكاثوليك

ومما يُشكر لقداسته كَلَفُهُ بالآثار الدينيّة الغابرة فرمّم بعض الكنائس القديمة في رومية وجدَّد ما بار من هندستها العجيبة وهو الذي اصلح حنيّة كنيسة لاتران الملكية واهتمَّ بتحسينات أُخرى في المعبد السكستي الشهير وكنيسة مار بطرس العظمى

ومن مشروعاته انهُ سعى السعي المشكور في تنظيم المكتبة الفاتيكانية وتوسيع قاعاتها وفتحها لجمهور العلماء وزاد عدد خدمتها. وهذه المكتبة حافلة بالمخطوطات القديمة في كل فنّ وليس لها مجارٍ في عدد وقدر تآليفها الدينية. امَّا مطبوعاتها فقد بلّغ قداستهُ عددها الى ٤٠٠٠٠ مجلد

وكذلك فتح الاب الاقدس لائمّة العلماء دون تمييز في مللهم ونحلهم مكتبةً أُخرى في الفاتيكان تتضمَّن كل اعمال الكرسي الرسولي السريّة منذ الزمن القديم الى يومنا منها كتابات رسميّة وبراءات ومناشير واعمال مجامع واوراق دعاوي الى غير ذلك ممَّا كان يحتفظهُ البابوات الى يومنا فاحبَّ لاون الثالث عشر ان يطّلع عليه العالم كلّهُ فيرى ما للاحبار الرومانيين من المآثر الجليلة في كلّ عصر فكان لهذا العمل احسن وقع لدى العلماء. وارسلت مذ ذاك الحين كل دولة بعثاتٍ علمية لتنال من هذه الكنوز المطمورة فتنشرها بالطبع.

١٨٧٨ أنتَ الشُعاةُ وعلى هذهِ الصَّخرةِ سأبني كنيستي وابوابُ الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

وللابوين دِ نيفاه الدومينيكي واهرله اليسوعي في تقريب هذا المشروع اياد شكرها لهما كلّ رجال العلم. وقد وكل اليهما الاب الاقدس نظارة هذه المخطوطات القديمة ليصوناها من التلف ويُصلحا ما دثر منها

ومن الخدم الجليلة التي ادّاها قداستهُ للآداب اهتمامهُ بطبعة انتشار الايمان التي اكتسبت لها في الاعصار السالفة اسمًا طيبًا. فاراد ان تجاري مطابع العواصم الكبرى فلا تحتاج الى شيء من ادوات الطباعة وما يلحق بها. وقد نُشر في هذا ربع القرن تآليف عديدة في لغات شتى تنطق بفضل الاب الاقدس نخصّ منها بالذكر دياطاسرون ططيانس بالعربيَّة (المشرق ٤: ١٠٠) ورسم نسخة الكتاب الكريم المعروفة بالفاتيكانيَّة (Codex Vaticanus) الراقية الى عهد قسطنطين الملك وكذلك رُسم الانجيل اليوناني بالفوتوغرافيَّة والطبع الحجري في السنة الماضية وغير ذلك ممَّا لا يسمح المكان بتعداده

وقد عرف قداسة الحبر الاعظم ما ينجم عن فنّ الطباعة من المنافع الجمَّة ولذلك قد حرَّض مرارًا الكاثوليك على استخدام هذه الوسيلة للمدافعة عن الحقّ وكشف الضلال. وقد ذكر هذا الامر في رسالتهِ الصادرة في ١٩ آذار سنة ١٨٩٦ التي يحضُّ فيها الشَّرقيين على إنجاح الصوالح الكاثوليكيَّة في الشَّرق. ولهذا السبب تقدَّم الاب الاقدس الى كثيرين من العلماء بان ينشئوا مجلَّات علميَّة كاثوليكيَّة تراها اليوم زاهرة تبثُّ مع المعارف البشريَّة المبادئ الصحيحة في العالم كلهِ منها مجلة الشَّرق المسيحي في باريس ومجلة بساريون (Bessarione) في فلورنسة ومجلة العالم الكاثوليكي (Cosmos catholicus) في رومية هذا فضلًا عن الجرائد والنشرات العديدة في كل اللغات الشائعة

١٨٧٨ أنت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٢

من سبط يهوذا (رؤيا ٥)

ولم يكتفِ شيخ الفاتيكان بتعزيز جانب العلوم والآداب في حاضرة الكثلكة بل شملت همتهُ اربع خوافق المسكونة فهو الذي انشأ مدرسة اناني (Anagni) للدروس الاكليريكية العليا ومدرسة سيلان للاقطار الهنديَّة وكلتاهما تحت تدبير الآباء اليسوعيين وانشأ كليَّة واشنطون في الولاية المتحدة وكليَّة فريبورغ في سويسرة واحدث فرعًا للدروس اللاهوتيَّة في لوڤان في بلجكة . ومن فضل قداسته قد نالت كليَّتنا في بيروت فانهُ هو ايَّدهُ الله الذي مكَّنها من منح الامتيازات الخاصَّة بالكليَّات العظمى في اللاهوت والفلسفة وفروعهما

وقد اضاف قداستهُ الى كل هذه الاعمال الخطيرة رسالات عجيبة يربي عددها على العشرين رسالة انفذها الى كلّ انحاء المعمور ودفع فيها الكاثوليك على الإقدام في جادَّة العلوم اجمالًا وافرادًا . وقد اضحت هذه الرسائل اشهر من نار على علم لما ضمَّنها الاب الاقدس من البراهين السديدة والاقوال البليغة نخصُّ منها بالذكر رسالتهُ العجيبة في الفلسفة (في ٤ آب سنة ١٨٧٩) أزال فيها الخلاف في تدريس الفلسفة بين الكاثوليك ورسالتهُ عن درس الاسفار المقدسة (سنة ١٨٩٣) ورسالتهُ في الدروس التاريخيَّة (سنة ١٨٨٤)

أفليس يحقّ للكاثوليك بل لكلّ محبي الآداب والعلوم في ختام هذه النبذة الموجزة ان يطلقوا لسانهم بالشكر على لاون الثالث عشر ويقرُّوا جهارًا انَّ الله قد اقامهُ حقيقةً في فلك كنيسته فجعلهُ كسيّده المسيح الذي هو ينوب عنهُ « نورًا ينجلي للامم ومجدًا لشعبهِ اسرائيل » (لوقا ٢ : ٣٢)

١٨٧٨ أنت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ١٩٠٣